جامعة الأزهر

دراسات فى فقه اللغة

دكتور
أحمد إبراهيم الجزار
الأستاذ المساعد
بكلية اللغة العربية بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ،،

فإن تحصيل مفردات اللغة لايعطى الثمرة المرجوة منه إلا إذا كان مصحوباً بالفقه، أى الفهم العميق لما يتم حفظه، أو تحصيله من ألفاظ اللغة؛ ولهذا فإن دراسة فقه اللغة واجب يحتمه احتياجنا الشديد إلى فهم كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

وقد عرضت - بفضل الله تعالى - فى هذا الكتاب عدة موضوعات من فقه اللغة، عرضاً مؤسساً على تناولها عند أئمة اللغة، فبينت مفهوم الأئمة للقضايا المتناولة؛ وذلك حتى تكون الدراسة دراسة أصيلة مبنية على الاعتداد بجهد أهل الفضل والسبق، كما حرصت على أن آتى بعبارة القدما ،، وعلى أن أعقب عليها بالشرح، والتحليل، وذلك حتى نظل مرتبطين بتراثنا، وأن يكون هذا الارتباط مبنياً على الفهم، وبهذا تمتد مسيرة العلم النافع إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق ،،

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

نظرة اللغويين العرب قديما وحديثا في مدلول علم اللغة وفقه اللغة

قبل أن نعرض مدلول (علم اللغة) و(فقه اللغة) لدى القدماء والمحدثين ينبغي أن نمهد لذلك بذكر المعنى المعجمي لكلمتي (علم) و(فقه).

جاء في لسان العرب: «الفقه: العلم بالشيء والفهم له»[١] وكذا في القاموس المحيط [٢]، وقال ابن فارس: «وكل علم بشيء فهو فقه ... ثم اختص بذلك علم الشريعة»[٣] لكنه ليس بالضرورة أن يكون كل علم بشيء فقها له، فقد ذهب الراغب الأصفهاني إلى أن: «الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم»[٤]، ويمكن توضيح عبارة الراغب بالمقدمات والنتائج في علم المنطق، فالمقدمات تعد علما شاهدا ،وفهمها حق الفهم بحيث يتوصل بها إلى النتائج الصحيحة، بمنزلة الفقه. ويفهم من عبارة الراغب أن مايعلم، ولايفقه لايسمى فقها، وقد جاء في المصباح المنير: «وهو (يتفقه) في العلم، مثل يتعلم[٥] أي أن مايعلم هو المادة التي يتفقه فيها، وهذا يؤيد قول الراغب بأن الفقه أخص من العلم.

---

(١) مادة (ف ق ه).

(٢) مادة (ف ق ه).

(٣) مقاييس اللغة (ف ق ه).

(٤) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق/محمد سيد كيلاني- الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ- ١٩٦١م.

(٥) مادة (ف ق ه).

ننتقل بعد ذلك إلى مدلول علم اللغة قديما. جاء فى كتاب (المعجم فى بقية الأشياء)[1] لأبى هلال العسكرى:[2] ومعلوم أن من يطلب الترسل وقرض الشعر وعمل الخطب كان محتاجا لا محالة إلى التوسع فى علم اللغة خاصة لتكثر عنده الألفاظ فيتصرف فيها بحسب مراده ولا يضيق مجاله فى مُرَدتاه وليعرف العُلْوِيّ من الكلام فيستعمله والعامِيّ فيتقيه ويتجنبه والمقصود بعلم اللغة فى النص المذكور تحصيل الثروة اللفظية. وقال الفيروزابادى فى مقدمة معجمه بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله ﷺ: فإن للعلم رياضا وحياضا وخمائل[3] وغياضا. وطرائق وشعابا وشواهق وهضابا يتفرع عن كل أصل منه أفنان وفنون.. وإن علم اللغة هو الكافل بإبراز أسرار الجميع... وأن بيان الشريعة لما كان مصدره عن لسان العرب وكان العمل بموجبه لايصح إلا بإحكام العلم بمقدمته، وجب على روام العلم وطلاب الأثر أن يجعلوا عظم اجتهادهم واعتمادهم وأن يصرفوا جُلّ عنايتهم فى ارتيادهم إلى علم اللغة والمعرفة بوجوهها[4]. ثم قال الفيروزابادى بعد ذلك

---

(١) ص ٤٢. أكمله وعلق عليه وضبطه الأستاذان/ إبراهيم الأبيارى، عبدالحفيظ شلبى. الطبعة الأولى- مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م.

(٢) من رجالات القرن الرابع الهجرى، قضى به جل عمره، إن لم يكن كله المعجم فى بقيته الأشياء ص٩ (ترجمة أبى هلال) وكان موصوفا بالعلم بالفقه، والغالب عليه الأدب والشعر. وهو تلميذ أبى أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد بن إسماعيل العسكرى. أنظر بغية الوعاة ج١/ ٥٠٦ الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

(٣) جمع خميلة وهى الشجر المجتمع الكثير الملتف الذى لايرى فيه الشىء إذا وقع فى وسطه المعجم الوسيط (خ م ل) ولعل الفيروزابادى يقصد بالخمائل تشابك مسائل العلم.

(٤) القاموس المحيط جـ١/ ٣٠٢ الطبعة الثانية: ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.

وإنى قد نبغت فى هذا الفن قديما [١] وتمثل نبوغه فى تأليفه كتابا سماه (اللامع المعلم العجاب) ثم اختصر هذا الكتاب وسمى المختصر (القاموس المحيط) [٢] والفن الذى يشير إليه صاحب القاموس جمع ألفاظ اللغة وهذا يمكننا من القول بأنه أراد بعلم اللغة متنها.

وقد اتسع مدلول علم اللغة فى العصر الحديث، فشمل دراسة الأصوات، والصرف، والنحو، وعلم المعنى، والدراسات المعجمية، وهذه تتصل بمادة اللغة، واندرج تحته كذلك لون آخر، ليس موجها إلى مادة اللغة، «وإنما هو مجموعة نقاط من البحث تعين- فى الغالب- على فهم الحقائق اللغوية، وترشد إلى تفسيرها، أو تفسير بعضها على الأقل» [٣]. ومن ذلك «اللغة ووظيفتها فى المجتمع، وعلاقتها بهذا المجتمع- اللغة واللهجة- تنوع اللغات إلى اللهجات، وأسباب هذا التنوع- المستويات اللغوية: لغة مشتركة (أو فصحى وعامية) [٤].

وفيما يتعلق بمدلول فقه اللغة، فقديما سمى ابن فارس [٥] أحد كتبه (الصاحبى) [٦] وقال فى مقدمته: «هذا الكتاب الصاحبى فى فقه اللغة

---

(١) السابق ص٣.

(٢) نفسه ص٣.

(٣) دراسات فى علم اللغة. د/كمال بشر ص٩-١٥ ط دار المعارف ١٩٧٣م.

(٤) السابق/١٥.

(٥) هو «أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبوالحسين اللغوى القزوينى. كان نحويا على طريقة الكوفيين.... وكان الصاحب بن عباد يتتلمذ له، ويقول: شيخنا ممن رزق حسن التصنيف... صنف المجمل فى اللغة، فقه اللغة (لعله الصاحبى)، مقدمة فى النحو، وذم الخطأ فى الشعر، فتاوى فقيه العرب، الاتباع والمزاوجة.... «قال الذهبى: مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالرى، وهو أصح ما قيل فى وفاته». بغية الوعاة ج١/٣٥٢.

(٦) ذكر ابن فارس فى مقدمة كتابه أنه عنون الكتاب بهذا العنوان، لأنه أودعه خزانة الصاحب بن عباد. انظر كتاب الصاحبى ص٣.

العربية وسنن العرب فى كلامها». وابن فارس وان قال فى مقدمة كتابه المذكور بأنه فى فقه اللغة، إلا ان مباحث فقه اللغة فيه تعد قليلة، ومن ذلك ما عنونه بقوله (باب الأسماء كيف تقع على المسميات) [١] ومنها تعرضه لبيان أصول معانى الألفاظ فى «باب القول فى أصول أسماء قِيسَ عليها وأُلحِقَ بها غيرُها» [٢].

وقد كثرت فيه المباحث النحوية، والصرفية، والأساليب البلاغية.

ونجد كذلك فى تراثنا اللغوى كتاب (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبى وقد قسم كتابه قسمين، حمل القسم الأول اسم فقه اللغة، وما احتواه هذا القسم يدخل تحت معاجم المعانى، وحمل القسم الثانى اسم (سر العربية)، وضمنه الثعالبى كثيرا من الأساليب العربية، وهو فى ذلك قد يبين سر الأسلوب، وقد يكتفى بمجرد عرضه، فمما أشار فيه إلى سر الأسلوب قوله بأن «العرب تقدم على الكناية عما لم يجر ذكره من قبل» توسعا واقتدارا واختصارا، ثِقَةً بفَهْم المخاطب كما قال عز ذكره: ﴿كل من عليها فان﴾ [٣] أى من على الأرض.. [٤].

ويذكر فى هذا المجال كذلك علة التسمية، كقوله بأن «العرب تسمى الشىء باسم غيره، إذا كان مجاورا له، أو كان منه بِسَبَب، كتسميتهم المطر بالسماء، لأنه منها يَنْزِل [٥].

---

(١) الصاحبى ص١١٤.

(٢) السابق ص١١٢.

(٣) الآية ٢٦ من سورة الرحمن.

(٤) انظر فقه اللغة وسر العربية ص٣٢٤.

(٥) السابق ص ٣٢٦.

ومما اكتفى فيه بعرض الأسلوب، قوله بأن العرب تقيم المصدر مقام الفاعل، فتقول: رجلٌ عَدْل: أي عادل[١]، ثم ذكر في هذا القسم بعض الحروف واستعمالاتها، ووقوع بعض حروف المعنى مواقع بعض[٢]، كما تعرض في هذا القسم- على عجل- للنحت[٣]، والابدال[٤]، والقلب[٥]، والتضاد[٦]، والاتباع[٧].

ومن الجدير بالذكر أن ابن جني قد عقد في كتابه الخصائص بابا «في تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني» واستهله بقوله: «هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة. وذلك أنك تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مُفْضِيَ المعنى إلى صاحبه. وذلك كقولهم:

(خُلُق الإنسان) فهو (فُعُل) من خَلَقْتُ الشيءَ، أي مَلَّسْتُه، ومنه صخرة خَلْقاء للملساء. ومعناه أن خلق الإنسان هو ما قُدِّرَ له ورتب عليه، فكأنه أمر قد استقر وزال عنه الشك... والخليقة فعيلة منه. وقد كثرت فَعِيلَة في هذا الموضع. وهو قولهم: (الطبيعة) وهي من طبعت الشيء (أي قررته) على أمر ثبت عليه، كما يطبع الشيء كالدرهم والدينار فتلزمه أشكاله، فلا يمكنه

---

(١) انظر فقه اللغة وسر العربية ص٣٣١.

(٢) انظر المرجع السابق من ص٣٤٤- ٣٥٨.

(٣) السابق ص٣٧٨.

(٤) نفسه ص٣٧٠.

(٥) السابق ص٣٧١.

(٦) نفس المرجع ص٣٧١ ن ٣٧٢.

(٧) السابق ص٣٧٢.

انصرافه عنها ولا انتقاله... ومنها الغريزة... الخ[1] وضرب ابن جنى أمثلة كثيرة مؤيدا بها ماذهب إليه من تلاقى المعانى على الرغم من اختلاف الأصول، ثم قال «فالتَّأتِّى والتَّلطُّف فى جميع هذه الأشياء، وضمها، وملاءمة ذات بينها هو (خاص اللغة وسرها، وطلاوتها الرائقة وجوهرها) [2] ثم ذكر أمثلة أخرى على النهج المذكور، وأتبعها بقوله: وهذا مذهب فى هذه اللغة طريف، غريب لطيف. وهو فقهها، وجامع معانيها، وضَامُّ نشَرِها.. وهذا باب إنما يجمع بين بعضه وبعض من طريق المعانى مجردة عن الألفاظ، وليس كالاشتقاق الذى هو من لفظ واحد، فكأن بعضه منبهة على بعض. وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعانى[3].

فابن جنى يلاحظ أن فى اللغة ألفاظا كثيرة تتوافق فى معانيها، على الرغم من تباين المواد التى تنتسب إليها هذه الألفاظ، ويشير إلى أن الوصول إلى ذلك ليس هينا، وإنما يحتاج إلى إعمال الفكر، وجودة النظر، وخلاصة الأمر أن عبارة (فقه اللغة) أتت فى كلام ابن جنى بمعنى جمع المعانى المتلائمة ذات المواد المختلفة، بلطفٍ وتُؤَدة.

هذا، ويرى الدكتور/صبحى الصالح فى كتابه «دراسات فى فقه اللغة» أن«كل علم لشىء فهو فقه»، وبنى على ذلك اقتراحه على الباحثين المعاصرين أن يعمموا مصطلح «فقه اللغه» على جميع البحوث اللغوية.

---

(١) انظر ج٢/١١٣، ١١٤.

(٢) السابق ج٢/١٢٥.

(٣) انظر ج٢/١٣٣.

وقد سبق أن ذكرت أن الفقه أخص من العلم، فليت الدكتور/الصالح اقترح عكس ماقال، لأن الأخص ينبغى أن يندرج تحت الأعم، وليس معنى هذا أن نطرح مصطلح «فقه اللغة»، بل يجب إبقاؤه، لأنه ترسخ فى أذهان الباحثين للدلالة على دراسة قضايا اللغة.

الترادف

☐ تعريفه :

ذكر الإمام السيوطى أن الترادف « هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد »(١).

☐ أمثلة للترادف :

ذكر منها الهمذانيّ فى كتابه الألفاظ الكتابية: الحُجة والبرهان والدليل، الخشية والخوف، الرهبة، والخوف، الفتل والإبرام، اللب والعقل .

وذكر السيوطى فى كتابه المزهر ألفاظاً كثيرة، على أنها من أسماء العسل منها: الضَّرَب، والضَّرَبَة، والضَّرِيب، والشَّهْد، والشُّهْد .

☐ تعقيب على تعريف الترادف :

يمكن بيان المراد بالألفاظ المفردة الدال على شيء واحد، بأن نجد من بين ألفاظ اللغة لفظين، أو عدة ألفاظ تطلق على معنى واحد، دون فرق بين لفظ وآخر فى المعنى، أو بعبارة أخرى بحيث يتساوى اللفظان، وتتساوى الألفاظ فى الدلالة على معنى معين، كأن نقول مثلاً الليث: الأسد، أو الأسد: الليث .

ويمكن أن نستخلص من ذلك أن المترادفين، أو الألفاظ المترادفة يجوز أن يعرف كل منهما بالآخر، وينطبق ذلك على ما إذا كان الترادف بين أكثر من لفظين .

وقد ذكر السيوطى المراد بإطلاق الألفاظ على شئ واحد باعتبار واحد، فأشار إلى أنه يُحْتَرَزُ « بوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسيف

والصارم، فإنهما دلا على شئ واحد، لكن باعتبارين: أحدهما على الذات والآخر على الصفة» .

□ تعقيب على ماذكره السيوطى فى شرح وحدة الاعتبار :

العبارة التى وردت فى تعريف الترادف، ونصها «باعتبار واحد». لابد من وجودها فى التعريف، وهذا هو معنى (يحترز بوحدة....)؛ لأنه لو خلا منها تعريفُ الترادف، لصار التعريف منطبقاً على مثل سيف، وصارم، ومُهَنَّد، وحجة وبرهان، مع أن هذه الألفاظ - كما سيأتى - لو تأملنا استعمالها للاحظنا أنها غير متحدة فى المعنى، أى أنها غير مترادفة، وبعبارة أخرى، إذا كان أحد الألفاظ اسماً للشىء، والآخر صفة له، فإن هذا لايُعد ترادفاً .

آراء العلماء فى ظاهرة الترادف

▢ أولاً: المنكرون وجود الترادف :

قال ابن فارس فى باب أجناس الكلام فى الاتفاق[١] والافتراق، بأن من ذلك «اختلاف اللفظ واتفاق المعنى، كقولنا: سيف، وعضب وليث وأسد، على مذهبنا فى أن كل واحد منهما فيه ماليس فى الآخر من معنى وفائدة» .

وقول ابن فارس المذكور يشير إلى رأيه فى الترادف، فهو يرى أنه وإن دل اللفظان المختلفان على مسمى واحد، إلا أن كلا اللفظين سيكون فيه معنى أو مَلْمَح يميزه عن اللفظ الآخر .

ويتفق رأىُ ابن فارس مع ماذكره الإمامُ السيوطى من قول التاج السُّبْكى فى شرح المنهاج بأنه قد «ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف فى اللغة العربية، وزعم أن كل مايُظَنّ من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات كما فى الإنسان والبَشَر، فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنه يُؤْنِس، والثانى باعتبار أنه بادى البشرة... وقد عقب التاج السبكى على هذا الرأى بأن فيه تكلفاً.[٣]

▢ ومن المنكرين ظاهرة الترادف من يرى أنه يسمى الشىء الواحد بالأسماء المختلفة: نحو السيف والمهند والحسام». ومع ذلك فالاسم

---

(١) الصاحبى صـ١٥٢.

(٢) المراد بالتباين هنا دلالة أكثر من لفظ على مسمى واحد، مع ملاحظة أن علة التسمية فى كل لفظ تختلف عن علة التسمية فى غيره .

(٣) المزهر جـ١/٤٠٣ .

واحد، وهو السيف، ومابعده من الألقاب صفات، ومعنى كل صفة منها غير معنى الأخرى. (١)

❐ ثانياً: المؤيدون ظاهرة الترادف :

من اللغويين من أقر بوجود الترادف، منهم ابن خالويه، ويبدو ذلك من الحوار الذي دار بينه وبين أبي علي الفارسي بمجلس سيف الدولة بحلب، فقد قال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ إلا اسماً واحداً، وهو السيف. قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي: هذه صفات؛ وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة » (٢).

وقد احتج المؤيدون للترادف « بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة؛ وذلك أنا نقول في « لاريب فيه »: لاشك فيه؛ فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ؛ فلما عُبّر بهذا عُلِمَ أن المعنى واحد » (٣) كما استدل القائلون بالترادف بأن الشاعر يأتي « بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد؛ تأكيداً ومبالغة » (٤).

---

(١) المزهر جـ/ ٤٠٤ .

(٢) المزهر جـ١/ ٤٠٥ .

(٣) المزهر ١/٤٠٤ .

(٤) السابق ١/٤٠٤ .

□ **تعقيب على ماسبق :**

أولاً: فيما يتعلق بما ذكره الإمام السيوطى من الألفاظ المترادفة .

□ **بيان القول فيما ذكره من ترادف العسل والضَّرَب .**

ذكر السيوطى من أسماء العسل (الضَّرَب). وبالبحث فيما ذكرته مصادر اللغة بشأن ذلك، لوحظ أنه قد ورد فى لسان العرب: [١] «والضَّرَب بالتحريك: العسل الأبيض الغليظ... وقيل: الضرب عسل البَرّ... والضَّرْب، بتسكين الراء لغة فيه؛ حكاه أبو حنيفة قال: وذاك قليل» .

ويلاحظ فيما ورد فى اللسان مايلى :

(أ) أن (الضرب) ليس مجرد عسل، وبعبارة أخرى لايطلق (الضرب) على كل عسل، وإنما يطلق على العسل الأبيض الغليظ، وكذلك يطلق على عسل البر» .

(ب) أن العسل الأبيض الغليظ يسمى (الضرب)، (الضرب) بفتح الراء وسكونها، وأن الفتح أفصح، وكون الفتح أفصح يفهم من أمرين :

١ - من عبارة: والضرب بتسكين الراء لغة فيه. فمعنى لغة: لهجة، والضمير فى (فيه) يرجع إلى (الضرب) بفتح الراء والمفهوم من عبارة (والضرب بتسكين الراء لغة فيه) أنه ورد فى لهجة من اللهجات العربية أن العسل يسمى (الضرب) بسكون الراء، وبناء على ذلك يكون الضرب بفتح الراء هو الشائع عند أكثر العرب .

ومما سبق عرضه بشأن معنى (الضرب)، يتبين أنه غير مرادف للعسل.

---

(١) «ضرب» ٢٥٦٧/٤ .

◻ بيان القول فيما ذكره السيوطى من ترادف العسل والشهد :

بالرجوع إلى مصادر اللغة لوحظ أن الشهد يطلق على العسل «مادام فى شَمَعِها» .. وقيل الشَّهْد[1] والشُّهْد: العسل ما كان». ومعنى أن الشهد: العسل ما كان، أنه يطلق على العسل بغض النظر عن كونه فى شَمَعه. وبعبارة أخرى يطلق الشهد على العسل حتى ولو لم يكن فى شمعه. والمراد بشمع العسل: ماتُفْرِزه النحل وتصنع منه بيوتَها المسدسة وتحفظ فيها عسلها»[2].

ثانياً: تعقيب على آراء اللغويين فى الترادف :

(أ) التعقيب على قول ابن فارس :

ما أشار إليه ابن فارس من وجود معنى أو ملمح يتميز به كل من اللفظين الدالين على معنى واحد، يمكن تأييده بدلالة كل من الرهبة والخوف على الانفعال النفسى الذى يحدث لتوقع حدوث المكروه.[3] إلا أنه مع ذلك يلاحظ أن الخوف ليس على درجة واحدة، سواء من ناحية القوة والضعف، أو الطول والقصر، أو من جهة كون الخائف فى موضع يأمن فيه ممن يخاف منه، أو ليس فى مأمن ممن يخافه، وخلاصة هذا كله أنه حين يكون

---

(١) الشهد بفتح الشين: لهجة بنى تميم، وبالضم لهجة أهل العالية، ينظر المصباح المنير (شهد) .

(٢) المعجم الوسيط (شمع) .

(٣) ينظر المعجم الوسيط (خوف) و(رهب) .

الخوف الذى يصيب الإنسان شديداً بحيث يؤدى إلى حالة الاضطراب، وتطول مدته، ويكون الإنسان فى حِرْز من المَخُوف منه، فإن ذلك يُسمَّى (رهبة) أما إذا قَصُرَتْ مدة الانفعال النفسى، أو لم يؤد إلى اضطراب، أو لم يكن الإنسان فى مأمن من المَخُوف، فإن هذه الحالة التى تعترى الإنسان لاتسمى (رهبة)، ولكنها تسمى خوفاً .

▢ **تعليق على قول من قال بأن تعدد الألفاظ التى تطلق على السيف يرجع إلى أن الاسم واحد وهو (السيف) وأن بقية الألفاظ صفات :**

قبل أن نبدى رأياً فى هذا القول بالموافقة، أو المعارضة، يجب علينا أن نتتبع استعمالات الألفاظ الدالة على السيف، وذلك حتى يأتى رأينا مبنياً على أساس علمى سديد، ويمكن بيان ذلك فيما يلى :

▢ ورد فى معجم لسان العرب:[1] أن (العَضْب) يطلق على السيف القاطع، ومع ذلك فقد ورد فيه أيضاً: «وسيف عضب: قاطع؛ وصف بالمصدر». وهنا نلاحظ شيئين :

أولهما: إطلاق كلمة (العضب) على السيف القاطع. ومعنى ذلك أن الذى ذكر فى معنى العضب كلمتان (السيف القاطع)، والترادف مبنى على أن تفسر الكلمة بكلمة واحدة فقط، فإذا وجدنا أن كلمة ما فسرت بأكثر من كلمة، فإن ذلك لايعد ترادفاً، وبناء على ذلك فإنه لايمكن القول بأنه يوجد ترادف بين (العضب) و(السيف القاطع) .

الأمر الآخر: أن العبارة التى نصها: «وسيف عضب: قاطع» عبارة صريحة فى أن كلمة (العضب) استعملت صفة للسيف، وبعبارة أخرى

---

(١) «عضب» .

وردت كلمتا (سيف) و(عضب) فى عبارة واحدة، وهذا يؤكد أن كلمة السيف هى الاسم، وأن كلمة (عضب) صفة .

- وجاء فى لسان العرب أيضا أن الحسام هو السيف القاطع، ومع ذلك ورد فيه: «وسيف حسام: قاطع» .[١].

وماذكر فى التعقيب على «سيف عضب» يمكن قوله فى «سيف حسام» .

- **تعقيب على رأى المؤيدين للترادف :**

مااحتج به المؤيدون للترادف يمكن الرد عليه بأنه حين نعرف لفظاً بآخر (كتعريف الرَّيْب بالشك) فلا يلزم من ذلك أن يكون اللفظان مترادفين، وإنما يقال بأنه قد عرف الريب بالشك، على أن يكون ذلك من باب المشاكلة، ويراد بالمشاكلة: المشابهة فى المعنى، وليس معنى المشابهة الاتحاد فى المعنى .

والقول الفصل فى ظاهرة الترادف أننا نلاحظ حقيقة ورود لفظين، أو عدة ألفاظ بمعنى واحد، أى أن الترادف فى لغتنا موجود لايمكن إنكاره، ومع أنه موجود ، لكنه يمكن أن يثار تساؤل فى مدى وجوده، فلقائل أن يقول، مانسبه وجود الترادف؟ أو مامدى وجوده؟ والإجابة عن هذا التساؤل لايمكن أن تكون حقيقية إلا إذا بنيت على دراسة إحصائية استقرائية لما ورد من ألفاظ اللغة متحد المعنى، ولعل الله - عز وجل - يهيئ من الظروف مايعين على القيام بهذه الدراسة.

---

(١) (حسم) .

□ أسباب وجود الترادف :

أولاً: اختلاف اللهجات :

يمكن بيان ذلك بأننا نجد من بين الألفاظ المترادفة ما يستعمل بمعنى ما عند قبيلة معينة، أو في بيئة معينة، وفي الوقت نفسه نجد لهذا المعنى لفظاً آخر في بيئة أخرى، ومن هنا يكون اختلاف الناطقين، أو تعدد اللهجات سبباً في وجود الترادف، وقد أشار ابن جني إلى ذلك بقوله: «وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فَسُمِعَتْ في لغة إنسان واحد فإن أَحْرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرَها أو طَرَفًا منها، من حيث كانت القبيلة الواحدة لاتتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله. هذا غالب الأمر»[1].

ويمكن أن نمثل لذلك بأن (السكين) تسمى في بعض اللهجات (المِدْية)، وكل من الفتح والضم والكسر لهجة، أي أن بعض العرب يقول مُدية بضم الميم، وبعضهم يقول مَدْيَة، وآخرون يقولون مِدْية، ويلاحظ أن (مدية) بكسر الميم لهجة بني قُشَيْر .

ثانياً: أن يكون للمسمى اسم واحد في الأصل، ثم يحدث أن يوصف الاسم «بصفات مختلفة باختلاف خصائص ذلك الشيء»، ويطرأ على هذه الصفات من الاستعمالات بحيث تستعمل على أنها اسم وليست صفة. «وفي ضوء هذا السبب يمكن النظر إلى السيف وأسمائه المختلفة في العربية، تلك الأسماء التي كانت في الأصل صفات له، كالصارم والباتر، والقاضب، والصَّقِيل، وغير ذلك»[2]

---

(١) الخصائص ٣٧٣/١ .

(٢) فصول في فقه العربية د/ رمضان عبد التواب صـ٣١٩ .

ويمكن إيضاح ذلك بأن كثيراً من استعمالات صفات السيف يراد بها السيف فقط، دون النظر إلى أن اللفظ الذى استعمل يراد به صفة معينة.

ألفاظ يقال بأنها مترادفة مع أنها ليست كذلك :

ذكر الهمذانى فى كتابه الألفاظ الكتابية، الألفاظ الآتية على أنها متساوية فى المعنى، أى أنها مترادفة، ولكنه بالبحث فى مصادر اللغة المختلفة، وكتب التفسير، يلاحظ أنها ليست مترادفة، وفيما يلى نماذج من ذلك :

١ - ذكر الهمذانى أنه يقال: فلان بخيل وشحيح، وأن البخل والشح واحد[١]. وبالبحث نجد أنه ورد تعريف الشح بالبخل[٢] ومع ذلك فقد عرف بأنه «البخل مع حرص»[٣] وأضاف الراغب الأصفهانى إلى هذا التعريف قائلاً: «وذلك فيما كان عادة»[٤]. ويفهم منه أن الشح أشد تمكناً فى النفس من البخل، ويتفق هذا مع ما جاء فى لسان العرب من أن الشح «أشد البخل، وهو أبلغ فى المنع من البخل[٥] وقيل «البخل فى أفراد الأمور وآحادها، والشح عام»[٦].

---

(١) الألفاظ الكتابية (باب البخل) ص٩٦، ٩٧ .

(٢) لسان العرب، والقاموس المحيط، والمصباح المنير (ش ح ح) .

(٣) مقاييس اللغة (ش ح) .

(٤) المفردات فى غريب القرآن (ش ح ح) - تحقيق وضبط/ محمد سيد كيلانى - الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ= ١٩٦١م.

(٥) لسان العرب (ش ح ح) .

(٦) السابق (ش ح ح) .

وينبغى علينا قبل أن نحدد موقفنا من التسوية بين الشح والبخل أن نتتبع استعمال ذلك فى القرآن الكريم، وفيما يتعلق بالشح فقد ذكر فى قول الله تعالى: ﴿وأُحْضِرتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾(١). وقد فسر الشح هنا بأنه شدة البخل »(٢) وفسر الزمخشرى إحضار الأنفس الشح بأن «الشح جُعِلَ حاضراً لها لايغيب عنها أبداً ولاتَنْفَكُّ عنه يعنى أنها مطبوعة عليه، والغرض أن المرأة لاتكاد تَسْمَحُ بقسمتها وبغير قسمتها، والرجل لاتكاد نفسه تسمح بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رَغِبَ عنها وأحب غيرها »(٣). ويمكن تأييد هذا التفسير بما ذهب إليه القرطبى من أن قوله تعالى: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾: «إخبار بأن الشح فى كل أحد، وأن الإنسان لابد أن يشح بحكم خِلْقته وجِبِلَّتِهِ حتى يَحْمِلَ صاحبَهُ على مايكره»(٤).

وذكر الشح فى قول الله تعالى: ﴿والذين تَبَوَّءوا الدارَ والإيمانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّون مَنْ هَاجَرَ إليهم ولايَجِدُونَ فى صُدُورهم حاجةً مما أُوتوا وَيُؤثِرُون على أنفسهم ولو كان بهم خَصَاصة ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المُفْلِحون﴾(٥).

وذكر القرطبى عقب هذه الآية الكريمة أن الشح والبخل سواء،(٦) على الرغم من ذكره ماروى عن ابن مسعود من «أن رجلاً أتاه فقال له: إنى

---

(١) من الآية ١٢٨ من سورة النساء.

(٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين جـ١/ ٤٣١ - طبعة عيسى البابى الحلبى.

(٣) تفسير الكشاف ١/ ٣٠٢ - دار المعرفة - بيروت.

(٤) تفسير القرطبى ١/ ٢٠٦٧ طبعة دار الغد العربى ١٤٠٩هـ = ١٩٩٨م.

(٥) الآية التاسعة من سورة الحشر.

(٦) تفسير القرطبى جـ١٠/ ٦٧٥٢.

أخاف أن أكون قد هَلَكْتُ! قال: وماذاك؟ قال: سمعت الله عز وجل يقول: ﴿ومن يُوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وأنا رجل شحيح لاأكاد أن أخرج من يدى شيئاً فقال ابن مسعود: ليس ذلك بالشح الذى ذكره الله تعالى فى القرآن، إنما الشح الذى ذكره الله تعالى في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً، ولكن ذلك البخل، وبئس الشئ البخل»[1] ويلاحظ أن القرطبى قد عَقّبَ على هذا الذى رُوِىَ عن ابن مسعود قائلاً: «ففرق رضى الله عنه الشح والبخل»[2] كما ذكر القرطبى فى الفرق بين البخل والشح قول طاوس: «البخل أن يبخل الإنسان بما فى يده، والشح أن يشح بما فى أيدى الناس، يحب أن يكون له مافى أيديهم بالحل والحرام[3] لايَقْنَعُ[4]».

كما تعرض القرطبى للفرق بين الشح والبخل عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولايَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُون بما آتاهم الله من فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هو شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مابَخِلُوا به يَوْمَ القيامة﴾[5]. فذكر ماقيل

---

(١) السابق ص٦٧٥٣.

(٢) السابق/ نفس الصفحة.

(٣) هذا المعنى يُلْمَحُ فى قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً على الخَيْرِ﴾. من قوله عز وجل: ﴿قد يَعْلَمُ الله المُعَوِّقِين منكم والقائلين لإخوانهم هَلُمَّ إلينا ولايأتون البَأْسَ إلا قليلا. أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم يَنْظُرُونَ إليك تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كالذى يُغْشَى عَلَيْهِ من المَوْت فإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألسنة حِدادٍ أَشِحَّةً على الخير أُولئك لَمْ يُؤْمِنُوا فأَحْبَطَ اللهُ أعمالَهُمْ وكان ذلك علَى الله يَسيرا﴾ (الآيتان ١٨، ١٩ من سورة الأحزاب). ففيه إشارة إلى أن المنافقين رغم تخلفهم عن القتال مع المسلمين، يتطلعون إلى النيل من الغنائم التى يحصل عليها المسلمون. ينظر الفتوحات الإلهية جـ٣/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٤) تفسير القرطبى جـ١٠/ ٦٧٥٣.

(٥) من الآية (١٨٠) من سورة آل عمران.

من أن الشح «البخل مع حرص»[١] وحكم على هذا التعريف بأنه «الصحيح» وعلل ذلك بما «رواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٢].

وذكر الشح كذلك في قول الله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[٣]. وفسر قوله تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ بأن «يكف الله شح نفسه فيفعل في ماله جميع ما أمر به موقناً به مطمئناً إليه حتى ترتفع عن قلبه الأخطار»[٤] وجاء في تفسيره كذلك أن الشح «خلق باطني» هو الداء العضال»[٥]. وأن النفس «تارة تشح بترك المعاصي بأن تفعلها وتارة تشح بالطاعات فتتركها، وتارة تشح بإعطاء المال، ومن فعل ما فرض عليه خرج من الشح»[٦].

ويأتي لفظ شحيح دالاً على الخذلان، ويشير إلى ذلك قول الله عز وجل ﴿أشحة عليكم﴾[٧] من قوله تعالى ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً

---

(١) تفسير القرطبي جـ٢/ ١٦٣٤ .

(٢) السابق/ نفس الصفحة .

(٣) الآية (١٦) من سورة التغابن .

(٤) الفتوحات الإلهية جـ١/ ٣٥٤ .

(٥) السابق/ نفس الصفحة .

(٦) المصدر السابق/ نفس الصفحة

(٧) أشحة جمع شحيح .

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ ففيه دلالة على تَقَاعُسِ المنافقين عن القتال مع المسلمين»[١]، وقيل (أشحة عليكم) أى «بخلاء عليكم، أى بالحفر فى الخندق، والنفقة فى سبيل الله، قاله مجاهد وقَتَادة»[٢].

وفيما يتصل بما استعمل من مادة (ب خ ل) فى القرآن الكريم، فقد ذكر فيه «بَخِلَ» بَخِلُوا، تَبْخَلُوا، يَبْخَل، يَبْخَلُون، البُخْل» ويدور استعمالها فيه حول منع ما يجب إخراجه من المال، واختلف فى المراد بالبخل فى قول الله تعالى: **﴿ولايَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾**[٣] فقال «أكثر العلماء، المراد به منع الواجب، واستدلوا بوجوه: أحدها أن الآية دالة على الوعيد الشديد وذلك لايليق إلا بالواجب. وثانيها أن الله تعالى ذَمَّ البخل، والتطوع لايُذَمّ على تركه. وثالثها قال عليه الصلاة والسلام: وأَىّ دَاءٍ أَدْوأُ من البُخْل،[٤] وتارك التطوع لايليق به هذا الوصف»[٥]. وقيل نزلت الآية المذكورة «فى أهل الكتاب وبخلهم ببيان ماعلموه من أمر محمد ﷺ»[٦].

ومما يؤكد الفرق بين البخل والشح أنه ليس فى مادة (ب خ ل) مايدل على الحرص والمنع معاً، وفى مادة (ش ح ح) دلالة على ذلك، فيقال «تشاح الرجلان على الأمر، إذا أراد كل واحد منهما الفوز به ومنعه من

---

(١) ينظر الفتوحات الإلهية ٣/٤٢٨ .

(٢) تفسير القرطبى جـ٧/ ٥٤١٢ .

(٣) الآية (١٨٠) من سورة آل عمران .

(٤) لعل المراد أن صفة البخل بالنسبة إلى بعض الصفات الأخرى المذمومة، تعد أسوأها .

(٥) الفتوحات الإلهية جـ١/ ٣٤٠ .

(٦) تفسير القرطبى جـ١/١٦٣٣ .

صاحبه »[١]، و«تشاحوا في الأمر وعليه. شح به بعضهم على بعض، وتبادروا إليه حَذَرَ فَوْتِه »[٢] أي أن كلاً من المتشاحّين حرص على أن يكون في حَوْزَته هذا المُتَبَادَرُ إليه فيمنع بذلك عن غيره .

وفرق أبو هلال العسكري بين الشح والبخل بأن الشح «الحرص على منع الخير» وأن البخل «منع الحق فلا يقال لمن يؤدي حقوق الله تعالى بخيل»[٣].

وخلاصة ذلك أن الشح «شدة البخل بما في اليد، والحرص على نيل ماليس فيها، وإنما هو في يد الغير، ويتضح هذا فيما يلي: -

١ - ماذكره القرطبي في تفسيره قوله تعالى ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون مابخلوا به يوم القيامة﴾ مصححاً تعريف الشح بأنه (البخل مع حرص) ، ومؤيداً ذلك بالحديث الشريف الذي رواه مسلم عن جابر بن عبد الله.[٤] (رضي الله عنه) .

٢ - قوله تعالى ﴿أشحة على الخير﴾[٥].

٣ - تفسير ابن مسعود (رضي الله عنه) الشح[٦].

---

(١) مقاييس اللغة (ش ح) .

(٢) لسان العرب (ش ح ح) .

(٣) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ١٧ - تحقيق لجنة إحياء التراث العربي - الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

(٤) انظر ص١٣٦ من البحث .

(٥) انظر ص١٣٦ من البحث .

(٦) انظر ص١٣٥ من البحث .

٤ - قول طاوس[1] (رضى الله عنه) .
٥ - التصريح فى معجم (لسان العرب) بأن الشح «أشد البخل»[2].
٦ - ماجاء فى مادة (ش ح ح)، من الدلالة على الحرص والمنع معاً .

وبناء على ماسبق يمكننا أن نوازن بين الشح والبخل، وذلك على النحو التالى:

	الاستعمال الوارد للشح	مقابله فى استعمال البخل
١	الامتناع عن الإنفاق مع التطلع إلى نيل مافى يد الآخرين	لايأتى البخل بمعنى الطمع فى مافى أيدى الناس
٢	الشح يكون عاما	البخل ليس عاما
٣	الشح يكون فى الإنسان صفة فطرية أو خلقية	البخل ليس كذلك
٤	الشح يستعمل بمعنى أكل مال الناس ظلماً	لايأتى البخل بهذا المعنى
٥	الشح يدفع الإنسان إلى سفك الدماء واستحلال المحارم	لايكون البخل كذلك
٦	الشح يكون فى فعل المعصية، أى أن فعل المعصية يعد شحاً، لأن النفس	لايكون البخل كذلك

الاستعمال الوارد للشح	مقابله فى استعمال البخل
يجب أن تمتنع عن فعلها ، ولاتتطلـع إلى ارتكابها ، فإذا ارتكبتها ، تكون قد آثرت فعل المعصية. وهذا يحـدث نتيجة ماتسولـه النفـس لصاحبهـا ، حيث تزيـن لـه فعـل المعاصـى، وتلبسها لباساً حسناً فـى ظاهـرة، ولكن باطنه فيه العذاب .	
٧ الشح يكون فى الطاعة، وذلك بتركها ولكى يتضح هذا فى الأذهان، فإنـه يمكن القول بأن هـذا المعنـى مبنـى على كون الشح امتناعاً عن الإنفاق، فبين المعنيين قاسم مشتـرك، وهـو الترك فى كل منهما ، ففى المعنـى الأول يلاحظ ترك الطاعـة، وفـى المعنى الثانى يلاحظ ترك الإنفاق .	لايأتى البخل كذلك
٨ يأتى بمعنى عدم نصرة أصحاب الحق .	لايأتى البخل بهذا المعنى .

٢ - وفى باب البخل أيضاً ذكر أنه يقال فلان ضَنِين بمعنى بخيل، ويقال ضن بالشيء بمعنى بَخِلَ به، كما ذكر كذلك أن البخل والضّنّ واحد[١].

وبالنظر نلاحظ أنه وإن جاء فى بعض مصادر اللغة تعريف ضَنّ ببَخِلَ[٢] والضِنّ بالبُخْل،[٣] والضَّنِين بالبَخِيل[٤]، إلا أنه ورد أن الضن ليس مُجَرَّدَ شيء يحرص على أن لايكون للآخرين نصيب فيه، فقد جاء فى لسان العرب أن الضِنّ «الشيء النفيس المَضْنُون به (عن الزجاجى)»[٥] وفيه كذلك أن الضن «ماتَخْتَصُّه وتَضِنّ به، أى تبخل لمكانه منك وموقعه عندك»[٦] ومن استعمال المادة الدال على ذلك أنه يقال: «فلان ضنتى من بين إخوانى وضنى، أى اختص به وأضن بمودته». ويقال كذلك: «علق مضنة ومضنة، بكسر الضاد وفتحها، أى هو شيء نفيس مضنون به ويُتَنافس فيه»[٧].

٣ - من الألفاظ التى ذكرها الهمذانى فى باب (أمارات الأشياء)[٨] الحجة والبرهان. لكننا بالتأمل نجد أن البرهان «الحجة الفاصلة

---

(١) الألفاظ الكتابية صـ٩٦ .

(٢) الأفعال للسرقسطى ٢/٢٢٢، ولسان العرب (ض ن ن) .

(٣) لسان العرب (ض ن ن) .

(٤) لسان العرب، والقاموس المحيط (ض ن ن) .

(٥) مادة (ض ن ن) .

(٦) نفس المادة .

(٧) لسان العرب (ض ن ن) .

(٨) ص٤٧، ٤٨ .

البينة»[١]، وقد تكون الحجة واهية غير معتد بها، ولذلك قيل[٢] «دَحَضَتْ حجته.. إذا بطلت، وأدحضها الله. قال الله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾[٣]. أي «باطلة زائلة»[٤]، وقد تكون الحجة مؤيدة بالدليل القاطع، وهذه هي التي تعلو جميع الحجج مرتبةً، ويؤيد ذلك ماجاء في معجم لسان العرب في تفسير اليد البيضاء، فقد عرفت بأنها: «الحجة المبرهنة.. وذلك لشرفها في أنواع الحِجَاج»[٥]، ويفهم من ذلك وجود حجة غير مُبَرْهَنَة، وهذه هي الضعيفة.

٤ - ذكر الهمذاني كذلك من كلمات هذا الباب «الدليل»[٦] وإذا تأملنا في دلالة «الدليل والبرهان» نجد أن البرهان «أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً، لامحالة. وذلك أن الأدلة خمسة أضرب: دلالة تقتضي الصدق أبداً ودلالة تقتضي الكذب أبداً ودلالة إلى الصدق أقرب، ودلالة إلى الكذب أقرب ودلالة هي إليهما سواء»[٧].

ومن هنا «فالدليل أعم»[٨].

---

(١) لسان العرب (برهن).

(٢) لسان العرب (د ح ض).

(٣) من قول الله تعالى: ﴿والذين يُحَاجُّونَ في الله من بَعْدِ مااسْتُجِيبَ له حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عند ربهم وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ولهم عذاب شَدِيدٌ﴾. الآية (١٦) من سورة الشورى.

(٤) المفردات في غريب القرآن (د ح ض).

(٥) ينظر مادة (ب ي ض).

(٦) ص٤٧.

(٧) المفردات في غريب القرآن (ب ر ه).

(٨) الفروق في اللغة/ ٦٣.

٥ - خصص الهمذاني باباً في (ترادف القبر)، ذكر فيه القبور والأرماس[١] والإرماس جمع رَمْس[٢] لكنه بالبحث نجد أنه قد قيل «ورَمَسُوا قَبْرَ فلان إذا كَتَمُوهُ وسَوَّوْهُ مع الأرض»[٣] ولذلك فإنه إذا «كان القبر مُدَوَّماً مع الأرض، فهو رَمْس، أي مستوياً مع وجه الأرض، وإذا رُفِعَ القبر في السماء عن وجه الأرض لايقال له رَمْس»[٤].

٦ - مما ذكره الهمذاني في باب ترادف القبر: الضريح، وكون الضريح يستعمل بمعنى القبر ليس القول الوحيد الذي قيل في تعريف الضريح،[٥] ولكن قيل في تعريفه كذلك بأنه «شَقٌّ في وسط القبر وهو فعيل بمعنى مفعول»[٦]، وقيل الضريح «القبر يحفر من غير لَحْد»[٧] واللَّحْد «الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت، لأنه قد أُمِيلَ عن وَسَطٍ إلى جانبه،[٨]، وقيل: الذي يُحْفَرُ في عُرْضِهِ»[٩].
ومن هنا فقول الهمذاني في الباب المذكور «رجل مَرْمُوسٌ ومَلْحُودٌ ومقبور» لانُسَلِّمُ به على إطلاقه، فلا يقال رجل مرموس إلا إذا كان

---

(١) الألفاظ الكتابية ص٢٥٦ .
(٢) القاموس المحيط (ر م س) .
(٣) لسان العرب (ر م س) .
(٤) السابق (ر م س) .
(٥) ينظر الضريح بمعنى القبر في لسان العرب (ض ر ح) .
(٦) المصباح المنير (ض ر ح) .
(٧) مقاييس اللغة (ض ر ح) .
(٨) يتفق هذا التعليل مع قول ابن فارس: «اللام والحاء والدال أصل يدل على ميل عن استقامة» مقاييس اللغة (ل ح د) .
(٩) لسان العرب (ل ح د).

قَبْرُهُ مُسَوّى بالأرض، ولايقال كذلك رجل ملحود إلا إذا كان فى قبره شق فى جانبه ».

٧ - ذكر الهمذانى فى باب أجناس العقل: العقل واللب[1] ولكن العقل واللب ليسا متساويين فى المعنى، فاللب «العقل الخالص من الشوائب، وسمى بذلك لكونه خالص مافى الإنسان من معانيه كاللباب واللب[2] من الشىء، وقيل هو مازكى من العقل، فكل لب عقل، وليس كل عقل لباً. ولهذا علق الله تعالى الأحكام التى لايدركها إلا العقول الزكية بأولى الألباب نحو قوله: ﴿يُؤْتِى الحِكْمَةَ من يشاء وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فقد أُوتِىَ خيراً كثيراً وماَيَذَّكَّرُ إلا أُولُوا الألباب﴾[3] ونحو ذلك من الآيات »[4] وجاء فى حاشية الجمل عن الجلالين مايؤيد هذا الفرق بين اللب والعقل، فقد جاء فيه أن اللب «العقل الخالى من الهَوَى، سمى بذلك لأحد وجهين، إما لبنائه من لَبَّ بالمكان: أقام به، وإما من اللُّباب وهو الخالص، يقال: لببت بالمكان ولببت بضم العين وكسرها »[5] وقيل اللب « يفيد أنه من خالص صفات الموصوف به، والعقل يفيد أنه يحصر معلومات الموصوف به »[6].

---

(١) الألفاظ الكتابية ص١٤٤ .

(٢) فى لسان العرب (ل ب ب): «ولب كل شىء، ولبابه: خالصه وخياره، وقد غلب اللب على مايؤكد داخله، ويرمى خارجه من الشمر».

(٣) الآية (٢٦٩) من سورة البقرة، وذكرها الراغب فى كتابه هكذا (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً) إلى قوله أولوا الألباب: ١٤٤/١.

(٤) المفردات فى غريب القرآن (ل ب ب) .

(٥) جـ١/١٤٤ .

(٦) الفروق فى اللغة ص١٦ .

٨ - فى باب الخوف، ذكر الهمذانى من كلماته «الرهبة»[١]. ولكن الرهبة تفسر كذلك بأنها «مخافة مع تَحَرُّز[٢] واضطراب»[٣]. وقيل الرهبة «طول الخوف واستمراره»[٤] فهى تزيد على الخوف بالاضطراب والاستمرار والتحرز.

٩ - ومن الكلمات التى ذكرها المؤلف فى هذا الباب «الخشية»[٥] ولكن الراغب الأصفهانى ذهب إلى أن الخشية «خوف يَشُوبُه تعظيم، وأكثر مايكون ذلك عن علم بما يُخْشَى منه، ولذلك خُصَّ العلماءُ بها فى قوله: ﴿إنما يَخْشَى اللهَ من عبادِهِ العُلَماءُ﴾[٦] وفى حاشية الجَمَل على الجلالين مايؤيد ماذهب إليه الراغب، فقد جاء فيه أن شرط الخشية «معرفة المَخْشِىّ والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعْلَمَ به كان أَخْشَى منه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام إنى أَخْشَاكُمْ لِلّه وأتْقَاكُم له»[٧] وقيل الخوف «يتعلق بالمكروه وبترك المكروه.. والخشية تتعلق بمنزل المكروه، ولايسمى الخوف من نفس المكروه خشية»[٨].

---

(١) الألفاظ الكتابية ص٧١ .

(٢) يقال تحرز من كذا «جعل نفسه فى حرز منه». لسان العرب (ح ر ز) .

(٣) المفردات فى غريب القرآن (ر هـ ب) .

(٤) الفروق فى اللغة ص٢٣٦ .

(٥) ص٧١ .

(٦) المفردات فى غريب القرآن (خشى) .

(٧) جـ٣/ ٤٩٤ .

(٧) جـ٣/ ٤٩٤ وقوله عليه الصلاة والسلام (إنى أخشاكم لله وأتقاكم له) جزء من الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى فى كتاب النكاح. صحيح البخارى بشرح السندى جـ٣/٢٣٧.

(٨) الفروق فى اللغة ص٢٣٦ .

١٠- من أبواب الكتاب باب سماه الهمذاني (باب الفتل). ذكر فيه أنه «يقال: فَتَلْتُ الحَبْلَ فهو مَفْتُول. وأَبْرَمْتُه فهو مُبْرَم»[١]. وبالبحث نجد أن الفَتْل «لَيّ الشيء»[٢] والإبرام ليس مُجَرّد لَيّ. فقد جاء في لسان العرب: «وأبرم الحبل: أَجَادَ فَتْلَهُ»[٣] وفي مقاييس اللغة: «ويقال: أَبْرَمْتُ الحَبْلَ، إذا فَتَلْتَه مَتِيناً»[٤] ويؤكد الفرق بين فَتَلَ وأبرم كذلك أنه جاء في مادة (ب ر م): «والمُبْرَم والبَرِيمُ: الحبل الذي جُمِعَ بين مَفْتُولَيْنِ فَفُتِلا حَبْلاً واحدا»[٥]. وهكذا يتضح أن الإبرام أقوى من الفتل، فهو إما فتل جيد متين، وإما فتل لحبال سَبَقَ فَتْلُها، فيُسَمَّى فَتْلُها بعضها مع بعض إبراماً.

١١- وفي نفس الباب ذكر الهمذاني بمعنى «فتلت الحبل فهو مفتول «أَمْرَرْتُه فهو مُمَرّ»[٦] وبالوقوف على الوارد في مصادر اللغة بشأن ذلك نلاحظ أنه جاء في مقاييس اللغة: «يقولون: أمررت الحبل: فَتَلْتُهُ، وهو مُمَرّ»[٧] وفي لسان العرب: «وكل مَفْتول مُمَرّ»[٨] ومع هذا فقد جاء فيه كذلك: «وأمررت الحبل أُمِرُّه، فهو مُمَرّ، إذا شَدَدْتَ فَتْلَه»[٩] وفي مادة (م ر ر) الكثير من الصيغ الدالة على القوة

(١) الألفاظ الكتابية ص٩٨ .
(٢) لسان العرب (ف ت ل) .
(٣) مادة (ب ر م) .
(٤) مادة (ب ر م) .
(٥) لسان العرب (ب ر م) .
(٦) الألفاظ الكتابية ص٩٨ .
(٧) مادة (م ر) .
(٨) مادة (م ر ر) .
(٩) نفس المادة .

والإحكام، فالمِرّة «القوة والشدة»... وأصل المِرّة إحكام الفتل»[١]. والمرير «من الحبال ما لَطُفَ وطال واشتد فَتْلُه، والجمع المرائر»، وفسرت المرائر كذلك بأنها «الحبال المفتولة على أكثر من طاق»[٢] ويؤكد هذا المعنى ماذكره الزمخشري من أن معاوية - رضي الله عنه - «دخل عليه عمرو بن مسعود[٣]، وقد أَسَنَّ وطَالَ عمره، فقال له: كيف أنت؟ وكيف حالك؟ فقال؟ ماتسأل يا أمير المؤمنين عمن ذَبُلَتْ بشرته، وقُطِعَتْ ثَمَرَتُه، وكَثُرَ منه مايحبّ أن يقلّ، وصَعُبَ منه مايحب أن يذل، وسُحِلَتْ مَرِيرَتُه بالنَّقْض... وشاهدنا في ذلك قوله (وسحلت مريرته)، وقد عقب عليه الزمخشري بقوله: «أي جعل حبله المُبْرَمُ سَحِيلاً، وهو الرِخْو المَفْتُول على طاقٍ واحد، وقد سَحَلَه يَسْحَلُه. والمَرِيرَة والمَرِير: المَرّ»[٤] المفتول على طاقَيْن فصاعدا، وهذا تمثيل لضعفه واسترخاء قوته»[٥]. ومن دلالة المادة على القوة أنه يقال: «استمرت مريرتُه على كذا إذا استَحْكَمَ أَمْرُهُ عليه وقَوِيَتْ شَكِيمَتُه فيه وأَلِفَه واعتاده»[٦]. وبناءً على كل ماسبق يمكن القول بأن المُمَرّ حبل مفتول، بقوة وإجادة.

---

(١) المادة السابقة.

(٢) نفسها.

(٣) هو من «بني سعيد بن مالك بن ثعلبة بن دودان» جمهرة أنساب العرب ص١٩٣ تحقيق الأستاذ/ عبد السلام محمد هارون - الطبعة الخامسة. دار المعارف.

(٤) أي الحبل.

(٥) الفائق في غريب الحديث جـ١/ ١٧٤، ١٧٥.

(٦) لسان العرب (م ر ر).

١٢- جاء في باب الفتل كذلك أنه يقال أَحْصَدْتُ الحبلَ فهو مُحْصَد، [١] وذكرت بعض مصادر اللغة كذلك (أحصدت الحبل: فتلته) [٢] إلا أنه قد ورد في لسان العرب: «والحَصَد: اشتدادُ الفَتْل واستحكام الصناعة في الأوتار والحبال والدروع، حَبْلٌ أَحْصَدُ وحَصِدٌ ومُحْصَدٌ ومُسْتَحْصِدٌ» [٣] وفي مادة (ح ص د) صيغ أخرى تحمل الدلالة على القوة والإحكام كذلك، فيقال رأيٌ «مُسْتَحْصَدٌ: مُحْكَمٌ. واستحصد الحبل أي اسْتَحْكَمَ». ويقال أيضاً: «وَتَرٌ أَحْصَدُ: شديد الفتل... ودِرْعٌ حَصْدا ءُ: صُلْبَةٌ شديدة مُحْكَمَة. واستحصد القومُ أي اجتمعوا وتضافروا» [٤] وبناء على ذلك فإن حَصَادُ الحبلِ فَتْلُه بقوة وإحكام، وليس مُجَرَّدَ فَتْل.

١٣- وفي باب الفتل أيضاً ذكر الهمذاني أنه يقال أَحْصَفَ الحَبْلَ فهو مُحْصَفٌ، [٥] مع أن الإحصاف الفتل بقوة وإحكام، ففي القاموس المحيط: «وأَحْصَفَ الحبل: أَجادَ فَتْلَه» [٦] وفي لسان العرب: «وإحصاف الحبل: إِحْكامُ فَتْلِه، والمُحْصَفُ من الحبال: الشديد الفَتْل» [٧] وقد أشار ابن فارس إلى أن مادة (ح ص ف) تدل على

---

(١) الألفاظ الكتابية ص٩٨ .

(٢) لسان العرب (ح ص د) وينظر القاموس المحيط (ح ص د) .

(٣) مادة (ح ص د) وكذا في القاموس المحيط (ح ص د) .

(٤) لسان العرب (ح ص د) .

(٥) الألفاظ الكتابية ص٩٨ .

(٦) مادة (ح ص ف) .

(٧) مادة (ح ص ف) .

تشدد يكون فى الشىء، وصلابة وقوة.[١] ومن ذلك ماجاء فى لسان العرب من أن كل «مُحْكَمٍ لاخَلَلَ فيه حَصِيف»[٢]. ويقال كذلك محصف «كثيف قوى.. ورأى مُسْتَحْصِف، وقد اسْتَحْصَفَ رَأْيُهُ إذا اسْتَحْكَمَ»[٣] ومن هنا فالحبل المُحْصَف هو المفتول بقوة وإحكام،و ليس مطلق فتل كما ذهب الهمذانى .

١٤- من أبواب الكتاب (باب فى الطمع) ذكر من ألفاظه «حرص وجشع»[٤] ولكننا بالفحص نجد أن الجشع: «أسوأ الحرص»[٥]، وقيل: «هو أشد الحرص على الأكل وغيره، وقيل هو أن تأخذ نصيبك وتطمع فى نصيب غيرك»[٦] وذكر ابن فارس كذلك أن الجشع «الحرص الشديد»[٧]، وفى كتاب الأفعال للسرقسطى: «وجَشِعَ جَشَعاً: اشْتَدَّ حِرْصُه»[٨] كما فسر الجشع بأنه «الجَزَعُ لفراق الإلْف»[٩] وهذا يعنى شدة الحرص على ملازمته، ويؤكد تفسير الجشع بشدة الحرص ماجاء فى مادة (ج ش ع) من قول بعض الأعراب:

---

(١) مقاييس اللغة (ح ص ف) .

(٢) مادة (ح ص ف) .

(٣) ينظر نفس المادة .

(٤) الألفاظ الكتابية ص٤٢ .

(٥) الاشتقاق لابن دريد. تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون ص٢٣٧، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٨هـ= ١٩٥٨. ولسان العرب (ج ش ع) .

(٦) لسان العرب (ج ش ع) .

(٧) مقاييس اللغة (ج ش ع) .

(٨) جـ٢/٣٠٣ .

(٩) لسان العرب (ج ش ع) .

«تجاشعنا الماءَ نتجاشَعُه وتناهبْناه وتشاحَحْناه إذا تضايَقْنا عليه وتعاطشنا»[١] ففيه إشارة إلى التسابق على الوصول إلى الماء، وعلى أن يصير فى حَوزة أحدِ المتسابقين بحيث يُحرم منه غيره، وفى ذلك مايدل على الحرص الشديد، ويؤخذ هذا استنتاجاً من دلالة تَشاحّوا الأمر وعليه: شح به بعضُهم على بَعض، وتبادروا إليه حَذَرَ فَوْته.

١٥- فى باب «العهد والميثاق» ذكر الهمذانى أنه «يقال بين الرجلين عهد وعَقْد وميثاق»[٢] ولكنه فيما يتعلق بالعقد والعهد نجد أنه قد جاء في لسان العرب أن العقود «أوكد العهود. ويقال: عَهِدْت إلى فلان فى كذا وكذا، وتأويله ألزمته ذلك، فإذا قلت: عاقدته أو عقدت عليه فتأويله أنك ألزمته ذلك باستيثاق»[٣] وكون العقود أوكد العهود يتفق مع ماجاء فى لسان العرب كذلك من أنه يقال عَقَدَ «العَهْدَ واليمينَ يعقدهما عَقْداً: أكّدَهُما»[٤] وجاء فى الفرق بين العقد والعهد أن العقد «هو العَهْدُ المُوثَّق المشبه بعقد الحبل ونحوه،[٥] وبناء عليه فالعقد ليس مجرد عهد، ولكنه عهد مؤكد.

- وفى باب أسماه الهمذانى باب الاستيطان، جاء فيه أن معنى الحزن والبَثّ: الغم[٦] وبالنظر فى معنى الحزن والبث نلاحظ أنـه ورد فـى

---

(١) السابق.

(٢) الألفاظ الكتابية صـ١٧٨.

(٣) مادة (ع ق د).

(٤) نفس المادة.

(٥) حاشية الجمل على الجلالين جـ١/٤٥٦. وينظر الفروق فى اللغة صـ٤٨.

(٦) الألفاظ الكتابية صـ١٥١.

لسان العرب أن البث «الحزن»[١]. وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر فيه كذلك أن البث «الحزن والغم الذى تُفْضى به إلى صاحِبك»[٢]. وأنه «شدة الحزن... كأنه من شدته يَبُثُّه صاحِبَه»[٣] وجاء فى القاموس المحيط كذلك أن البث «أشد الحزن»[٤] وفسر البث فى قول الله تعالى ﴿إنما أَشْكُو بَثِّى وحُزْنِى إلى الله﴾[٥] بأنه «عظيم الحزن الذى لايصبر عليه حتى يبث إلى الناس»[٦].

وفى باب المدح ذكر الهمذانى أنه يقال: «أَطْرَيْتُ الرجل وأَطَّرَأْتُه.[٧] ومَدَحْته» وبالتأمل فى معنى المدح والإطراء نجد أن كلاً منهما يدل على حسن الثناء،[٨] وفضلاً عن ذلك يأتى الإطراء بمعنى المبالغة فى المدح، ومجاوزة الحد فيه،[٩] ويؤيد ذلك أنه جاء فى لسان العرب: «وأطرى فلان فلاناً: إذا مدحه بما ليس فيه؛ ومنه حديث النبى ﷺ: لاتُطْرُونى كما أَطْرَتِ النصارى المسيحَ، فإنما أنا عبد، ولكن قولوا عبد الله ورسوله؛ وذلك أنهم مدحوه بما ليس فيه فقالوا: هو ثالث ثلاثة، وإنه ابن الله، وما أشبهه من شكرهم وكفرهم. وأطرى إذا زاد فى الثناء».

---

(١) مادة (ب ث ث).

(٢) نفس المادة. وينظر الفائق فى غريب الحديث جـ٣/ ٥٠.

(٣) لسان العرب (ب ث ث).

(٤) مادة (ب ث ث).

(٥) من الآية ٨٦ من سورة (يوسف).

(٦) تفسير الفتوحات الإلاهية جـ٣/ ٤٧٦.

(٧) فى لسان العرب (ط ر أ): «وأطرأ القوم: مدحهم، نادرة، والأعرف بالياء».

(٨) انظر مقاييس اللغة، ولسان العرب (طرى).

(٩) انظر المصباح المنير (ط ر أ).

- وفي باب (الاستطان) جاء قول الهمذاني (والثّواء المُقام) (١)

وبالوقوف على ماجاء فى مصادر اللغة بشأن ذلك نجد أنه وإن جاء فى بعضها «ثَوَى بالمكان، ثُوِيّاً، وثَواء، وأثْوَى: أقام» (٢) إلا أنه قد ورد أن الثواء «طول المقام» (٣) وقيل: «الثّواء: الإقامة مع استقرار» (٤). وفى مادة (ث و ى) صيغ أخرى تدل على طول الإقامة، فيقال «للغريب إذا لَزِمَ بلدة: هو ثاويها...» (٥) وثُوِيَ الرجلُ: قُبِرَ لأن ذلك ثَواءٌ لاأَطْوَلَ منه» (٥) ويقال كذلك أثويت بالمكان «أطلتُ الإقامة به» (٦). ومن هنا فليس الثواء مطلق مقام، ولكنه مُقام طويل.

---

(١) الألفاظ الكتابية صـ١٧٧.

(٢) كتاب الأفعال للسرقسطى جـ٣/٦١٢، وينظر المصباح المنير (ثوى).

(٣) لسان العرب (ثوى).

(٤) المفردات فى غريب القرآن - ثوى).

(٥) لسان العرب (ثوى).

(٦) السابق/ نفس المادة.

(العفو والصفح)

ذكر الهمذانى أن العفو والصفح و.... واحد». لكنه ورد مع ذلك أن العفو «أن يتجاوز عن الجانى، والصفح أن يتناسى جرمه، وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب»[١].. ومعنى أن العفو بالفعل ترك معاقبة الجانى ومعنى كون الصفح بالقلب أن يتناسى المعتدى عليه ترك معاقبة الجانى جرم الجانى، يعنى أن قلب المجنى عليه يكون قد صفا بالنسبة للجانى، ويؤكد ذلك قول الشهاب الخفاجى بأن العفو « ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه[٢]. ويزيد ذلك إيضاحا قول الإمام القرطبى بأن العفو: ترك المؤاخذة بالذنب والصفح: إزالة أثره من النفس».

ومما يدل كذلك على وجود فرق بين العفو والصفح أنه ورد فى تفسير قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم. وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم..﴾. ورد أن المراد بـ (تعفوا): تتركوا عقاب الأهل والأولاد «بترك الانفاق عليهم وذلك أن من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك فرأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الإنفاق عليهم فأنزل الله «وإن تعفوا » الخ». كما ورد فى تفسير الآية الكريمة أن معنى «وإن تعفوا » أى عن ذويهم بترك المعاقبه، وتصفحوا بالإعراض وترك التثريب وتغفروا بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها »[٣].

---

(١) الفتوحات الإلهيه بتوضيح تفسير الجلالين جـ٣/٢١٥.

(٢) حاشية الشهاب الخفاجى جـ٢/٣٦١. والتثريب «كالتأنيب والتعيير والاستقصاء فى اللوم» لسان العرب (ثرب) ١/٤٧٥.

(٣) الفتوحات الإلهيه جـ٤/٣٥٣.

وإذا حاولنا أن نصل إلى سر الفرق الدلالى بين العفو والصفح، نلاحظ أنه ورد فى معجم لسان العرب أن العفو معناه «التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس..... قال ابن الأنبارى فى قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾، محا الله عنك، مأخوذ من قولهم: عفت الرياح الآثار. إذا درستها ومحتها»[١].

وقد ورد كذلك «والريح تعفو الدار عفاء وعفوا. ويوجه ابن الأعرابى العفو فى الدار بأن معناه «أن يكثر التراب عليها حتى يغطيها». وكون التراب يغطى الدار فهذا طمس لها، لكنها موجودة تحت التراب، وقد سبقت الإشارة إلى أن العفو يرجع اشتقاقه إلى (عفا) بمعنى محا وطمس.

ومن هنا فإن هذا المعنى الذى ورد عن ابن الأعرابى، يمكن أن نستعين به فى معرفة سر دلالة (العفو) فكما أن الرياح تثير الأتربة فتأتى على الأثر وتمحو معالمه، وتطمسها، إلا أنه يجب أن نتنبه مع ذلك إلى أن الأثر الذى يتراكم عليه الغبار المثار، يظل له وجود على الرغم من عدم مشاهدته، وهذا المعنى يتحقق فى العفو عن الجانى، وذلك لأن المجنى عليه قد يترك عقاب الجانى، ومع ذلك يبقى فى نفسه شىء نحوه .

وأما الصفح فهو كما سبق أن أشرنا إلى معناه، ألا يكون فى نفس المعتدى عليه شىء تجاه المعتدى، بمعنى أنه أخرج المسألة من قلبه، كأن شيئا لم يكن، ولبيان سر دلالة الصفح على ذلك، نذكر ما ورد فى معجم لسان العرب مما يتصل بسر هذه الدلالة، فقد ورد فيه: «وفى حديث عائشة تصف أباها: صفوح عن الجاهلين، أى كثير الصفح والتجاوز عنهم وأصله من الإعراض بصفحة وجهه، كأنه أعرض بوجهه عن ذنبه». وكون أصل (صفوح) من

---

(١) «عفا» جـ٤/٣٠١٨.

الإعراض بصفحة وجهه، يمكن أن نستوضحه مما جاء في تركيب (صفح) أيضا من أنه يقال: «صفح عنى فلان أى أعرض عنه موليا».

ومعنى ذلك أن هذا الذى أعرض، أى ترك غيره، لايلتفت إلى من تركه، وإنما يتوجه إلى وجهة أخرى بعيدا عن الشخص الذى أعرض عنه، وهذا الاستنباط يؤخذ من كلمة (موليا)، لأن معناها (تاركا غير ملتفت، ومما يدل على أنه غير ملتفت أنه يقال «صفح فلان عنى أى أعرض بوجهه وولانى وجه قفاه»[1].

وخلاصة ماذكرناه من تركيب (صفح) أن فى هذا التركيب دلالة على الترك مع عدم الالتفات، ودلالة التركيب على عدم الالتفات تفسر لنا دلالة الصفح على ترك الانتقام ومعاقبة الجانى، مع صفاء قلب المجنى عليه. ومع هذا فقد ورد فى تركيب (صفح): «وصفحت الشاة والناقة تصفح صفوحا ولى لبنها». وكون اللبن قد انقطع فإن ذلك يعنى خلو الضرع من اللبن، ومن هنا فإنى أرى أن هذا الاستعمال أنسب فى إرجاع الصفح المعروف إليه.

ومن هنا يصح لنا أن نقول بأن الراغب الأصفهانى كان على حق فى قوله: «والصفح ترك التثريب وهو أبلغ من العفو ولذلك قال: (فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) وقد يعفو الإنسان ولايصفح)[2].

(قليل ، نزر).

ذكر الهمذانى هذين اللفظين فى باب القلة، ومعنى ذلك أن دلالتهما واحدة. وقد ورد فى بعض مصادر اللغة مايشير إلى وجود فرق بينهما، ففى

---

(١) لسان العرب (صفح) جـ٤/٢٤٥٧.

(٢) المفردات فى غريب القرآن (صفح).

لسان العرب: «النزر: القليل التافه»[١]. فيلاحظ أن النزر عرف بالقليل، ووصف القليل بأنه تافه، ويدل ذلك على أن النزر ليس مجرد شيء قليل، ولكنه مع قلته تافه.

(حاو به وناوشه).

ذكرهما الهمذاني على أنهما متحدان في المعنى، وقد ورد في لسان العرب أنه يقال: «وقد تناوش القوم في القتال إذا تناول بعضهم بعضا بالرماح ولم يتدانوا كل التداني»[٢]. ومعنى هذا أن المناوشة بين المتقاتلين تتم دون أن يحدث التحام بينهم، وعلى ذلك فإنه لايتأتى القول بالترادف بين (حاد به وناوشه) .

(اللوم والعذل والتعنيف والتوبيخ والتأنيب):

من الأبواب التي ذكرها الهمذاني في كتابه باب عنوانه (باب اللوم) وقد ذكر في هذا الباب أنه يقال «لمت الرجل لوما و.... وعذلته عذلا ... وعنفته تعنيفا .... ووبخته توبيخا وأنبته تأنيبا ....». ويفهم من ذلك أن الألفاظ المذكورة مترادفة، لكنه بالبحث نلاحظ أنه ورد أن التأنيب «أشد العذل». وعرف كذلك بأنه «المبالغة في التوبيخ والتعنيف». وبناء على ذلك فلا يوجد ترادف بين اللوم والتأنيب.

---

(١) نزر جـ٦/٤٣٩٣.

(٢) نوش جـ٦/٤٥٧٥.

تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى

هذا العنوان عنوان باب من أبواب كتاب الخصائص لابن جنى، وقد استهل هذا الباب بقوله :

«هذا فصل من العربية حسن كثيراً المنفعة، قوى الدلالة على شرف هذه اللغة. وذلك أنك تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مُفْضِى المعنى إلى معنى صاحبه»[(١)].

وهذه المقدمة التى افتتح بها ابن جنى الباب المذكور لها أهميتها؛ وذلك لأنها بمثابة التنبيه على أهمية الموضوع الذى سيتناوله؛ وكأن هذا التنبيه استنهاض للهمم؛ وحث لها على أن تغوص فى أعماق اللغة، وتتبين مافيها من أسرار، وحكم، وهذا الذى صنعه ابن جنى منهج علمى سديد؛ وذلك لأن الشعور بقيمة الموضوع الذى يعرض، أو يتناول، له دور كبير فى الإقبال بجد وشغف على الموضوع الذى يعرض، أو يتناول. ومن هنا تُجْتَنَى ثمارُه المرجُوّة .

ومما عرضه ابن جنى فى هذا الباب من الألفاظ:الطبيعة، والنحيتة، الغريزة .

والملاحظ أن هذه الألفاظ على وزن (فَعِيلة) كما أنها تتلاقى فى الدلالة على أمر قد أخذ طابع الاستقرار والثبات، وقد صرح ابن جنى بأن صيغة (فعيلة) قد كثرت فى هذا الموضع، ومفهوم قوله هنا أن سبب تلاقى معانى الألفاظ المذكورة، هو مجيئها على هذه الصيغة .

---

(١) الخصائص ١١٣/٢ .

وقد وضع ابن جنى دلالة الألفاظ المذكورة على الثبات والاستقرار .

▢ ماقاله بشأن كلمة (الطبيعة) :

«الطبيعة.. من طَبَعْتَ الشيءَ (أي قَرَّرْتَه) على أمر ثبت عليه، كما يُطْبَعُ الشيءُ كالدرهم والدينار، فتلزمه أشكالُه، فلا يمكنه انصرافه عنها ولاانتقاله» .

▢ تعقيب على دلالة كلمة الطبيعة :

يحسن أن نبين المراد بكلمة الطبيعة، وذلك حتى يسير الكلام المتعلق ببقية الألفاظ على نمط واضح .

لقد عرَّف الراغبُ الأصفهاني كلمة (الطبيعة) تعريفاً جلياً، مكتملَ الجوانب، فقد عرفها بأنها «نَقْشُ النَّفْس بصورة ما إما من حيث الخِلْقة وإما من حيث العادة وهو فيما ينقش به من حيث الخلقة أغلب، ولهذا قيل:

وَتَأْبَى الطِباعُ على الناقِل[1]

وهذا التعريف يحتاج إلى التعقيب عليه بما يزيد وضوحاً ويمكن أن نعقب عليه بما يلي :

أولاً: الأصل في استعمال كلمة (النقش) أنها تدل على إحداث أثر في شيء محسوس. وتطلق كلمة النفس على عدة معان، منها ماهو حسي، ومنها ماهو معنوي. وسياق كلام الراغب بصدد بيان معنى الطبيعة، يدعو إلى القول بأنه أراد بـ(نقش النفس): طَبْعَها، وصَبْغَها بصبغة خاصة: فيكون المقصود بالنفس حينئذ: المعنى المعنوي، وهو: مايكون به التمييز والاختيار. والذى يدل على أن هذا هو المراد ماقاله الراغب بأن النقش يكون من جهة الخلقة، ويكون من جهة العادة .

---

(١) المفردات في غريب القرآن (طبع) .

وكون النقش فى النفس من جهة خلقتها ، يمكن تفسيره على عدة أوجه، أحدها أن النفس البشرية قد فطرها الله عز وجل على الإيمان به، فالإنسان فُطِرَ على الإيمان بالله عز وجل، فإن ترك نفسه ومافطرت عليه، لايمنعه حينئذ شيء عن الإيمان، ومن هنا تُصْبَغُ نفسُه بالصبغة الإيمانية، فإن عاند فِطْرَته، واتَّخَذَ إلهَهُ هواه، حاد عن طريق الإيمان، وطبعت نفسه بطابع غير إيماني، وهكذا .

وأما نقش النفس من حيث العادة، فمعناه: أن يكون للإنسان نمط معين يعرف به فى ملبسه، ومأكله، ومشربه، وكرمه أو بخله، وحسن خلقه أو سوء خلقه، وذلك لأن اعتياد الإنسان على طريقة بعينها فى أحواله المعيشية، وتعامله مع الآخرين، يجعل اعتياده هذا ملمحاً أساسياً من ملامح شخصيته .

وخلاصة ذلك أن دلالة كلمة (الطبيعة) بنيت على ملحظين :

الملحظ الأول: مااعتاده الإنسان فى حياته، وكان أساسه مافطر الله - عز وجل - الإنسان عليه .

الملحظ الآخر: مااعتاده الإنسان فى حياته، وكان أساسه تمسك الإنسان بعادات مكتسبة، وإلفه لها، كاعتياده على نظام خاص به فى مأكل، أو مشرب، أو ملبس، وماإلى ذلك .

□ وقال ابن جنى عن كلمة (النحيتة):

«وهى فعيلة من نَحَتَّ الشيءَ، أى مَلَّسْتَه وقَرَّرْتَه على ماأردته منه. فالنحيتة كالخليقة. هذا من نَحَتَّ، وهذا من خَلَقْتُ» .

□ تعقيب على دلالة (النحيتة) :

معنى كلام ابن جنى أن ما يُنْحَتَ يصير إلى هيئة مختلفة عما كانت عليه، بحيث يثبت على الهيئة التى صار إليها كما يقال خَلَقت الشىء، أى: صَيَّرته أملس، وحين يصير الشىء أملس، فإن يصطبغ بهذه الصبغة طالما أنه لم تمتد إليه يد بالتغيير تارة أخرى، وبناء على ذلك فإنه يلاحظ أن الفعلين (نَحَتَ) و(خَلَقَ)، يشتركان فى الدلالة على جعل الشىء مستوياً أملس، ومن هنا اتحد معنى (النحيتة) و(الخليقة) .

□ وقال ابن جنى عن (الغريزة) :

«وهى فَعِيلة من غَرَزت، كما قيل لها طبيعة؛ لأن ضَرْب الدرهم ونحوه ضَرْبٌ من وَسْمِه، وتَغْرِيزه بالآله التى تُثْبِت عليها الصورة» .

□ تعقيب :

يلاحظ فى هذا المثال أن ابن جنى بنى اتفاق معنى (الغريزة) و(الطبيعة) على دلالة فعليهما على معنى واحد، وهو (التثبيت).

ولتوضيح هذا المعنى نقول بأنه ورد فى لسان العرب : أن كل «ماسُمِّرَ فى شىء فقد غُرِزَ فيه وغُرِّز» والتَّسْمِير تثبيت، وفى الطبع كذلك دلالة على التثبيت، فيقال: «طَبَعَ الشىء وعليه: خَتَمَ»، ومعنى التثبيت هنا يلاحظ فى أن القلب الذى يطبع عليه - مثلاً - فإن مافيه من اعتقاد ما، لايخرج منه، ومعنى عدم خروجه منه، أنه يظل ثابتاً، ومن هنا اتفق معنى (الغريزة) و(الطبيعة) .

☐ وقال ابن جنى عن (النقيبة) :

«وهى (فَعِيلة) من نَقَبْتُ الشىء، وهو نحو من الغريزة» .

☐ تعقيب :

يمكن بيان وجه دلالة (النقيبة) على الطبيعة بما ورد فى لسان العرب[١]، من أن تركيب (نقب) يدل فى الأصل على التأثير «الذى له عمق ودخول». ومعنى أن تركيب (نقب) يدل فى الأصل على التأثير: ... أنه يمكن أن نلاحظ وجود هذا المعنى فى كثير من استعمالات التركيب «ومن ذلك يقال: نَقَبْتُ الحائط، أى بلغت فى النقب آخره. ويقال: كلب نَقِيب، وهو أن يَنْقُبَ حنجرة الكلب، أو غَلْصَمَته[٢] ليَضْعُفَ صوته، ولا يرتفع صوته نباحه ونَقْبُ حنجرة الكلب يُعَدُّ نفوذاً إلى شىء ليس سطحياً» .

وهذه المقدمة أردت أن أصل من خلالها إلى بيان وجه دلالة (النقيبة) على الطبيعة، وبناء على هذه المقدمة نستطيع أن نقول بأن الكيفية التى اعتادها الإنسان فى أحواله المختلفة، لا تصدر عن صاحبها صدور عشوائياً؛ وإنما ترسخت دوافعها فى عقل الإنسان ووجدانه، والعقل والوجدان يُعَدُّ أن ما له عمق ودخول، ومن هنا فقولنا مثلاً: فلان حسن النقيبة، أى حسن الطبيعة، يجب أن ينبهنا إلى أن سبب دلالة كلمة (النقيبة) على المعنى المذكور: هو أن الأفعال والأقوال التى تقع من صاحبها ناتجة عن أن وراءها دوافع كامنة فى عقل ووجدان من صَدَرَتْ عنه .

---

(١) (نقب) ٤٥١٥/٦ .

(٢) يفعل ذلك البخلاء من العرب، لئلا يطرقهم ضيف، باستماع نُباح الكلاب .

□ ومن الأمثلة التي ذكرها ابن جني (المِسْك والصُّوار) .

وقد عقب ابن جني على ذلك بقوله: «فقيل له (أي للمسك): صُوار لأنه (فُعال) من صَارَهُ يَصُورُه إذا عَطَفَه وثناه... وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه، وليس من خبائث الأرواح فيعرض عنه، وينحرف إلى شق غيره... وكذا نجد أيضاً معنى المسك. وذلك أنه فِعْلٌ من أمسكت الشيء، كأنه لطيب رائحته يُمْسِكُ الحاسةَ عليه ولا يعدل بها صاحبها عنه... فقولهم إذا: مِسْكٌ يلاقي معناه معنى الصُّوار، وإن كانا من أصلين مختلفين، وبناءين متباينين: أحدهما (مسك) والآخر (صور) كما أن الخليقة من (خلق): والسجية من (س ج و) والطبيعة من (ط ب ع) والنحيتة من (ن ح ت) والغريزة من (غ ر ز)» .

□ ومن الأمثلة التى ذكرها أيضاً :

صـبى وصـبـيـة، وطفل وطفلة، وكله لِلّين والانجـذاب وترك الشـدة والاعـتـيـاض. وذلك أن صـبـيـاً من صَبَوْتُ إلى الشىء إذا مِلْتُ إليـه... وكذلك الطِفْل: هو من لفظ طَفَلَتِ الشمسُ للغروب أى مالت إليه وانجذبت نحوَه » .

هذا، وقد ذكر ابن جنى أمثلة أخرى على هذا النمط، ثم ختم الباب بما يُعَدُّ تعريفاً به، وبياناً لقيمته، فقال :

« وهذا مذهب فى هذه اللغة طريف، غريب لطيف، وهو فقهها، وجامع معـانيها، وضام نَشَرها. وقد هممت غير دَفْعَة أن أنشىء فى ذلك كتاباً أتقصى فيـه أكثرها، والوقت يَضيق دونَه... وكان أبو على رحمه الله يستحسن هذا الموضع جداً، وينبه عليه ويُسَرّ بما يَحضره خاطرُه منه. وهذا باب إنما يُجْمَعُ بين بعضـه وبعض من طريق المعـانى مجردة من الألفاظ، وليس كالاشتقاق الذى هو من لفظ واحد، فكأن بعضـه منبهة على بعض. وهذا إنما يعتنق فيـه الفكر المعانى غير منبهته عليه الألفاظ، فهو أشرف الصنعتين، وأعلى المأخذين. فَتَفَطَّنْ له، وتأنَّ لجَمْعه، فإنه يُؤْنِقُك، ويَفِيء عليك، ويَبْسُطُ ماتَجَعَّد من خاطرك، ويريك من حِكَم البارى - عز اسمه - ماتَقِفُ تحته، وتُسَلِّمُ لعِظَم الصنعة فيه » .

□ **تعقيب على الأمثلة التي ذكرها ابن جني من حيث أنواعها :**

الأمثلة التى ذكرت للباب المذكور يمكن تصنيفها كما يلى :

أولاً: الطبيعة، النحيتة، الغريزة، النقيبة .

ثانياً: المسك، الصوار، صبى، طفلة .

وفيما يتعلق بأمثلة القسم الأول، فيلاحظ أن أمثلته جاءت على وزن واحد، وهو (فعيلة) ، وسبب دلالة ألفاظ هذا القسم، مجيئها على وزن (فعيلة) ، وقد أشار ابن جنى إلى ذلك بقوله «وقد كثرت فعيلة فى هذا الموضع». وهو يقصد بقوله هذا، أنه قد وردت ألفاظ كثيرة على هذا الوزن، ومع ذلك اتفقت فى المعنى .

وأما فيما يتصل بأمثلة القسم الثانى فإن ألفاظه وإن اتحد معناها فإنها غير متحدة فى بِنْيَتِها، وقد أتى اتحاد معناها من جهة أن تراكيب هذه الألفاظ، أو أصولها تشترك في بعض المعانى، وهذا الاشتراك هو الذى بُنِيَ عليه اتفاقُ الألفاظ المأخوذة من هذه التراكيب.

□ **تعقيب على بعض أقوال ابن جنى :**

قوله بأن هذا «مذهب طريف» يشير من طرف خفى إلى أن هذا الباب لم يرد لدى أكثر المَعْنِيِّين باللغة؛ وهذه حقيقة ومن خلال قول ابن جنى هذا، ومما عرضه من أمثلة هذا الباب، يَسُوغُ لنا أن نقول بأن ابن جنى قد كشف القناع عن باب من أبواب فقه اللغة، وعَبَّدَ طريقه لمن يأتى بعده، ويسلك مسلَكَه فى أن يُنَقِّب فى اللغة، ويحاول معرفة أسرارها .

□ ومما يشير إلى أن هذا الباب لم يرد لدى أكثر المعنيين باللغة، قول ابن جنى: «وكان أبو علي رحمه الله يستحسن هذا الموضع جداً، وينبه عليه، ويُسَرّ بما يحضره خاطره منه» والمقصود بأبى على: هو أبو على الفارسى، (أستاذ ابن جنى) وقول ابن جنى أبا على كان «يسر بما يحضره خاطره منه». يشير إلى أنه لعل ابن جنى أخذ فكرة الباب عن أستاذه، ولكنه توسع فيها .

□ **قول ابن جنى: «وهذا باب إنما يجمع بين بعضه وبعض من طريق المعانى مجردة من الألفاظ» :**

المفهوم من هذا القول أن هذا الباب مبنى على جمع الألفاظ التى تعبر عن معنى واحد، مع اختلاف أصل كل منها عن أصول الألفاظ الأخرى، ومعنى ذلك أن المعنى هو الذى يكون فى الذهن أولاً، ويأتى بعد ذلك البحث عن الألفاظ التى تدل على هذا المعنى، مع ملاحظة وجود علة واحدة فى إطلاق هذه الألفاظ على المعنى الذى اشتركت فيه .

موازنة بين الترادف وتلاقى المعانى
على اختلاف الأصول والمبانى

الألفاظ التى تندرج فى باب الترادف، والألفاظ التى تدخل فى باب تلاقى المعانى، تشترك فى وجه، وتختلف فى وجه آخر. أما وجه الإشتراك فيتمثل فى أن الألفاظ المترادفة معناها واحد، وكذلك الألفاظ المتلاقية فى المعانى. وأما وجه الاختلاف فيتلخص فى أن الألفاظ المترادفة لاتشترك فى علة أو سبب إطلاقها على معنى ما، والألفاظ المتلاقية فى المعانى تشترك فى سبب دلالتها على المعنى الذى تطلق عليه، وهذا المعنى المشترك يلاحظ وجوده فى التراكيب التى تنتمى إليها الألفاظ المتلاقية فى المعانى مع إختلاف الأصول والمبانى .

❐ موازنة بين الاشتقاق وتلاقى المعانى :

ورد فى ختام باب (تلاقى المعانى) قول ابن جنى عن هذا الباب:
«وليس كالاشتقاق الذى هو من لفظ واحد، فكأن بعضه منبهة على بعض، وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعانى غير منبهته عليه الألفاظ، فهو أشرف الصنعتين، وأعلى المأخذين، فتفطن له، وتأن لجمعه، فإنه يؤنقك ويفىء عليك، ويبسط ماتجعد من خاطرك» .

❐ تعقيب :

هذا الذى ذكره ابن جنى يعد موازنة بين تلاقى المعانى (على اختلاف الأصول والمبانى) وبين الاشتقاق، وإن لم يصرح ابن جنى بأن ماقاله من قبيل الموازنة .

وهذه الموازنة يمكن فهمها على النحو التالى :

قول ابن جنى «وليس كالاشتقاق. إلى قوله (فهو أشرف الصنعتين) .
هذا القول يراد به أنه فى حالة الاشتقاق يكون لدينا لفظ ما ، هذا اللفظ يمكن أن يدلنا على مايشتق والمشتقِ منه؛ وذلك لأن اللفظين ينتميان إلى تركيب واحد، واستعمالات التركيب الواحد تربطها رابطة معنوية، ومن أمثلة ذلك أنه يقال: «أَرْبَى على فى القول». ومعناه زَادَ على، وورد أنه اشتق من ذلك «الربا فى المعاملة، لأنه يزيد على ماله» .

ولربط هذا المثال بما قاله ابن جنى عن الاشتقاق، نستطيع القول بأننا حين وقفنا على (أربى) بمعنى زاد ، ساعدنا ذلك على الربط، وإدراك العلاقة بين «الربا» و(أَرْبَى) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ماورد من أنه يقال «حابيْتُ أي ملت إلى الرجل واتصلت به، وهو مأخوذ من حَبِيِّ السحاب، وهو مادنا بعضُه إلى بعض» .

وأما فيما يتعلق بتلاقى المعانى فالذى يسلك طريق هذا الباب، فإنه لايدرك أسراره بسهولة ويسر، وذلك لتَعَدُّد مراحله، أو لتشعب مسالكه، فاللبنة الأولى فى الباب تتأتى بورود المعنى فى الذهن أولاً، ويتبع ذلك البحث عن الألفاظ التى تؤدى هذا المعنى، بحيث تتحد العلة فى التسمية فى هذه الألفاظ .

□ أمثلة أخرى من باب تلاقى المعانى، لم يذكرها ابن جنى:

١ - يدل تركيب (الحاء والجيم والراء) على المنع والإحاطة على الشىء، ومن هنا يسمى العقل حجرا، لأنه يمنع من إتيان مالاينبغى» .

ويدل تركيب (العين والقاف واللام) على حُبْسَةٍ فى الشىء، أو مايقارب الحُبْسَة. ولذا سُمِى العقلُ عَقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط فى المهالك، أى يحبسه». ويسمى العقل كذلك نُهْيَةً، وتسمية العقل نهية متفقة مع دلالة تركيب (نهى) على الغاية والبلوغ، فيقال: فلان ذو نهية، أى ذو عقل يَنْتَهِى به عن القبائح وَيَدْخُل فى المحاسن» أى أن صاحب العقل يتصرف فى حدود مالاَيُنْكَرُ. وقال بعض أهل اللغة: ذو النهية الذى يُنْتَهَى رأيه وعقله .

ومن معانى مادة «الحاء والصاد والحرف المعتل: المنع»[1] ففى لسان العرب «والحَصْو: المنع، قال بشير الفريرىّ:

---

(١) ينظر مقاييس اللغة ٢/٦٩ .

ألا تخاف الله إذ حَصَّوْتَنِي   حَقِّي بلا ذنبٍ وإذ عَنَّيْتَنِي»

وأري أن في دلالة المادة المذكور على المنع، مايُسَوِّغُ إطلاق الحصاة على العقل[1]، ومما يؤيد ذلك قول طرفة :

وإن لسان المرء مالم تكن له   حَصَاةٌ على عَوْراته لَدليلُ

- والغِـــراء «الذي يُلْصَقُ به الشيء»[2]، وفي إطار هذا المعنى جـــاء (اللصوق) بفتح اللام: مايلصق على الجرح من الدواء، ثم أطلق على الخِرْقَة ونحوها إذا شُدَّتْ على العضو للتداوي»[3].

ولاشك أن كلاً من الغراء واللصوق يؤدي إلى الالتئام .

- ويقال: رَقَعْتُ الثوب (رقعا)... إذا جعلت مكان القطع خرقة واسمها (رُقْعة)[4]، فالرقعة كذلك تؤدي معنى الالتئام، وهذا يتفق مع قول ابن فارس «الراء والقاف والعين أصل، يدل علي سد خلل بشيء» .

ومما يؤدي معنى الالتحام: الرُؤْبَةُ، وهي ماتسد به الثلمة (الخلل)، ويتفق هذا مع دلالة تركيب الراء والهمزة والباء «على ضم وجمع» والملاحظ أن الغراء واللصوق، والرقعة، والرؤبة تلاقت معانيها مع اختلاف أصولها، واتحدت علة التسمية بها .

---

(١) ذهب ابن فارس إلى أن الحصاة بمعنى العقل مأخوذ من الحصاة (أي صغار الحجارة)، وعلل ذلك بأن وفي الحصى قوة وشدة. والحصاة: العقل، لأنه تماسك الرجل وقوة نفسه». وماذهب إليه ابن فارس لايمنع من القول بأن إطلاق الحصاة على العقل، يرجع إلى دلالة المادة على المنع .

(٢) لسان العرب (غدا) .

(٣) المصباح المنير (لصق) .

(٤) المصباح (رقع) .

□ والحِبْر: المَدادُ الذى يكتب به، ويسمى كذلك النِقْس، وإطلاق الحبر والنقس على المداد متفق مع دلالة مادتيهما على الأثر، ومن ذلك أنه جاء فى تركيب (حبر): الحَبَار: الأثر. ويقال: جاءت الإبل حسنة الأحبار والأسبار، وقيل: هو الجمال والبهاء، وأثر النعمة، والحِبْر: الأثر من الضربة إذا لم يدم. وأَحْبَرَتِ الضربةُ جِلْدَهُ وبجلده: أثرت فيه. وحَبِرَ جلده حبراً: إذا بقيت للجرح آثار بعد البُرْء.

ويدل تركيب (نقس) كذلك على الأثر، من ذلك أنه يقال: نَقَسْتُه: عبته، كأنك لَطَخْتَه بشىء قبيح»[1].

---

(١) مقاييس اللغة جـ٥/ ٤٧٠.

باب فى إمساس الألفاظ أشباه المعانى

ابتدأ ابن جنى هذا الباب بقوله: إعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له، والاعتراف بصحته »(١)

وهذا الاستهلال يذكرنا بما استهل به باب تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى، وذلك من جهة عظم شأنه فى اللغة، واحتياجه إلى عمق فى الفهم، وبعد فى النظر .

وأخذ ابن جنى بعد الاستهلال السابق، يعرض ويحلل أمثلة تفصح عن حقيقة هذا الباب .

تعقيب على العنوان المذكور (إمساس الألفاظ ...)

هذا العنوان يوحى بأن ابن جنى يريد أن يضع يده على أمثلة متنوعة تمثل هذا الباب، وهذا يبدو مما عرضه من قول الخليل «كأنهم توهموا في صوت الجندب(٢) استطالة ومداً فقالوا: صَرّ، وتوهموا فى صوت البَازِى(٣) تقطيعاً فقالوا: صرصر» ويبدو كذلك مما عرضه من أمثلة ذكرها سيبويه فى باب (بناء الأفعال التى هى أعمال تَعَدّاك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها) وكذلك من أمثلة أخرى ذكرها ابن جنى تارة على نمط مارسمه الخليل وسيبويه، وتارة أخرى على نمط لم يُسْبَقْ إليه .

ومن الأمثلة التى ذكرها ابن جنى عن سيبويه (الغَلَيَان)، وهو من المصادر التى جاءت على وزن (الفَعَلان)، وقد علق ابن جنى على ذلك بأن

---

(١) الخصائص ٢/١٥٢ .

(٢) الجندب «نوع من الجراد يصرو ويقفز ويطير» المعجم الوسيط (جندب) .

(٣) البازى: «جنس من الصقور الصغيرة، أو المتوسطة الحجم» المعجم الوسيط (بزى) .

هذا النمط من الألفاظ، قد جعلت حركاته متتابعة؛ وذلك لأن حركات المسمى (الماء الذى يغلى) لاتتوقف، أى هى أيضاً متتابعة[١] .

وأما الأمثلة التى أتى به ابن جنى، فيمكن ذكرها على الوجه التالى:

أولاً: المصادر الرباعية المضعفة وعلاقتها بالباب :

أشار ابن جنى إلى علاقة المصادر الرباعية المضعفة بباب إمساس الألفاظ أشباه المعانى، ويبدو ذلك فى قوله: «وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة. تأتى للتكرير، نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة... المثال المكرر للمعنى المكرر - أعنى باب القلقة»[٢].

□ تعقيب :

المصادر الرباعية المضعفة تتكون من تكرار حرفين أصليين، وهذا التكرار فيه دلالة على مافى المسمى من حركة. فالزعزعة «تحريك الشئ» ويقال: «زعزعه فتزعزع حركه ليقلعه». وتحريك الشئ لاقتلاعه يتم بتكرار التحريك .

والقلقلة: شدة اضطراب الشئ وتحركه». والاضطراب فيه تكرار الحركة .

- وورد أنه يقال: «صَلَّ اللجام: امتد صوته فإن توهمت ترجيع صوت قلت صَلْصَلَ وتَصَلْصَلَ» وهنا يجب أن نتنبه إلى الفرق فى المعنى بين (صَلَّ) و(صلصل). فـ(صل) تشير إلى حدوث صوت له رنين، أى

---

(١) الجندب «نوع من الجراد يصر ويقفز ويطير» المعجم الوسيط (جندب) .

(٢) الخصائص ٢/١٥٣ .

امتداد، بمعنى أنه لاينقطع فجأة، كصوت الإناء الفارغ عند قَرْعِه (مثلاً)، وهذا يحدث دون تكرار للحركة التى هى سبب حدوث الصوت، وأما إن تكررت الحركة فإنه يعبر عنها حينئذ بـ(صلصل)، وهذا هو معنى «فإن أردت ترجيع صوت قلت صلصل». وبهذا المعنى أيضاً ورد فى لسان العرب (صلل): «وصلصلة اللجام: صوته إذا ضوعف». ومعنى ضوعف (تكرر).

ثانياً: دلالة ماجاء وزن (فَعَلَى) على توالى الحركة :

أشار ابن جنى إلى ذلك بقوله :

«ووجدت أيضاً (الفعلى) فى المصادر والصفات إنما تأتى للسرعة: نحو البَشَكَى والجَمَزَى، والوَلَقَى»[١]. وأوضح ذلك بأنه جعل اللفظ الذى تتابعت حركاته «للأفعال التى توالت الحركة فيها»[٢].

- **تعقيب :**

ما أشار إليه ابن جنى من أنه وجد (الفعلى) فى المصادر والصفات إنما تأتى للسرعة: نحو البشكى والجمزى والولقى، يمكن إيضاحه على النحو الآتى:

- فيما يتعلق بـ(بشكى)، فقد ورد: «وامرأة بَشَكَى اليدين وبَشَكَى العمل: خفيفة اليدين فى العمل سريعتهما... وبشكى العمل أى سريعة العمل». كما يقال: «إنه بشكى الأمر أى يُعَجِّلُ صَرِيمَة[٣]

---

(١) الخصائص ١٥٣/٢ .

(٢) السابق/ الصفحة نفسها .

(٣) الصريمة «العزيمة على الشىء وقطع الأمر». لسان العرب (صرم).

أَمْرِه. وناقة بَشَكَى. سريعة»[١]. والملاحظ أن كلمة (بشكى) وقعت صفة.

- وفيما يتصل بـ(جمزى) فيقال «الناقة تعدو[٢] الجمزى وكذلك الفرس». وقد وقعت الجمزى كذلك وصفا، وورد فى معجم المصباح المنير: «وجمز جمزاً من باب ضرب عدا وأسرع والجمزى بفتح الكل اسم منه». أى أن (جَمْزاً) مصدر، و(الجَمَزَى) اسم من (جمز)، والمراد بكون (الجمزى) اسماً من (جمز). أن السرعة نفسها تسمى «جمزى».
- وفيما يتصل بـ(الولقى)، فإنه يقال: «ناقة ولقى: سريعة» والملاحظ أن هذه الألفاظ التى على زنة (فعلى) جاءت حركاتها متتابعة،ومن هنا وافقت المعنى الدالة عليه.

ثالثاً: الأفعال التى على زنة (استفعل):

ذكر ابن جنى أن الأفعال التى على وزن (استفعل) تأتى «فى أكثر الأمر للطلب[٣]؛ نحو استسقى، واسْتَطْعَمَ، واستوهَبَ، واستَمْنَحَ، واستقدَمَ عمراً، واستصرخ جعفراً» وعقب على هذه الأمثلة قائلاً: «فرتبت فى هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال. وتفسير ذلك أن الأفعال المحدث عنها أنها وقعت عن غير طلب إنما تفجأ حروفها الأصول، .... نحو قولهم: طعم ووهب، ودخل وخرج، وصعد ونزل. فهذا إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت، ولم يكن معها دلالة تدل على طلب لها ولا إعمال فيها... فلما

(١) لسان العرب (بشك).

(٢) يقال «عدا فى مشيه عَدْواً... أى أسرع، ولكن السرعة لاتصل إلى مستوى الجرى.

(٣) أى أن الأفعال التى تأتى على هذا الوزن، تكون فى أكثر أحوالها للطلب، ومفهوم ذلك أنها قد تكون لغير الطلب، كالاعتقاد، والتحول، والمصادفة، وغير ذلك.

كانت إذا فاجأت الأفعال فاجأت أصول المُثُل الدالة عليها... نحو وهب ومنح... كذلك أخبرت بأنك سَعَيْتَ فيها وتَسَبَّبْتَ لها، وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول فى مُثُلها الدالة عليها أحرفاً زائدة على تلك الأصول، تكون كالمقدِّمة لها والمؤدِّية إليها. وذلك نحو استفعل فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت نحو استفعل، فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء والعين واللام، فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك. وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه، والتَّأتِّى لوقوعه تَقَدَّمَهُ. فكما تَبِعَتْ أفعالُ الإجابةِ أفعالَ الطَّلَب، كذلك تَبِعَتْ حروفُ الأَصْل الحروفَ الزائدة التى وُضِعَتْ للالتماس والمسئلة. وذلك نحو استخرج، ....، واستعطى، واستدنى. فهذا على سَمْت الصنعة التى تقدمت فى رأى الخليل وسيبويه، إلا أن هذه أغمضُ من تلك. غير أنها وإن كانت كذلك فإنها منقولة عنها، ومعقودة عليها. ومن وجد مقالا قال به وإن لم يسبق إليه غيره. فكيف به إذا تبع العلماءَ فيه، وتلاهم على تمثيل معانيه» .

□ **تعقيب :**

يريد ابن جنى بهذه الأمثلة التى تناولها أن يشير إلى أن الحدث حين يقع من صاحبه، (قدوماً، عطاء، أو غير ذلك)، دون أن يكون لأحد سبب أو دور، أو تدخل، أو تأثير فى وقوع الحدث، فإنه يعبر حينئذ عن هذا الحدث بالفعل بحيث يكون غير مسبوق بما يدل على أن الفعل لم يقع إلا بعد طلب له، أو بعبارة أخرى يستعمل الفعل حينئذ غير مسبوق بالهمزة والسين والتاء، وأما إذا لم يتم حدوث الفعل إلا بعد محاولة لحدوثه، أو سعى فى

ذلك، فإن الأمر حينئذ يقتضى أن يعبر عن هذا الفعل بأن يتقدم على حروفه الأصلية مايدل على السعى فى حدوث الفعل أو طلب وقوعه، وهذا يتمثل فى الهمزة والسين والتاء .

تعليق على بعض عبارات لابن جنى فى هذا المبحث :

- قوله: «فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة التى وضعت للالتماس والمسئلة» .

يريد ابن جنى بقوله: «تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب» أنه - على سبيل المثال - حينّ يقدم شخص بناء على غيره طلب ذلك، فالملاحظ أن القدوم لم يتم، أو لم يحدث إلا بعد طلب، أى أن طلب القدوم سابق لحدوثه، ومن هنا كان لابد للتعبير عن مثل هذا أن يسبق الفعل بما يدل على طلبه أو إرادة وقوعه، وبهذا يأتى الفعل موافقاً لمدلوله .

- قول ابن جنى «فهذا على سمت الصنعة التى تقدمت فى رأى الخليل وسيبويه، إلا أن هذه أغمض من تلك» .

والمقصود بهذا القول أن الأمثلة التى أضافها ابن جنى وإن كانت فى إطار ماذكره الخليل وسيبويه، إلا أنها تمتاز عما ذكراه، بأن أمثلة ابن جنى تعد أكثر دقة .

- **رابعاً: تكرير العين :**

ذكر ابن جنى أن الأفعال المضعفة العين يراد بها «تكرير الفعل «فقالوا: كَسَّرَ، وقَطَّع، وفَتَّحَ، وغَلَّقَ. وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعانى فأقوى اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها،

ومبذولان للعوارض دونها ... فلما كانت الأفعال دليلة المعانى كرروا أقواها، وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المُحَدَّثِ به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوا تقطيعه فى نحر صرصر وحقحق دليلاً على تقطيعه. ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولااللام لكراهية التضعيف فى أول الكلمة، والإشفاق على الحرف المضعف أن يجىء فى آخرها، وهو مكان الحذف وموضع الإعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل. فهذا أيضاً من مُسَاوَقَةِ الصيغة للمعانى» .

❑ **تعقيب :**

أشار سيبويه كذلك إلى أن صيغة (فعل) تدل على التكثير، ومن ذلك قوله: «تقول: كسَّرتها وقطَّعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسَّرته وقطَّعته ومزَّقته... وقالوا: يُجَوِّل أى يكثر الجولان، ويطوِّف أى يكثر التطويف»[1]. وقد صرح سيبويه بأن صيغة (فَعَّل) «بناء خاص للتكثير»[2].

❑ **قول ابن جنى: «فأقوى اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل» ... وهو تكرير الفعل» .**

معنى هذا القول أن أقوى حروف الكلمة، وهو العين، حين يضعف، فإن تضعيفه له صلة وثيقة بالجانب الدلالى، والصلة تتمثل فى أنه حين تقول قطع، أو كسر، فالملاحظ أن الحدث لم يقع مرة واحدة، وإنما حدث أكثر من مرة، وهذا التكرار فى وقوع الحدث، يقتضى أن يعبر عنه بلفظ يراعى فيه

---

(١) الكتاب جـ٤/ ٦٤ .

(٢) السابق ٤/٦٥ .

مايشير إلى تكرار وقوع الحدث، وقطع - مثلاً - مضعفة العين، والعين كما أشار ابن جنى لايقع الإعلال فيها إلا نادراً، ومالايقع فيه الإعلال إلا نادراً، يعد أقوى من غيره، وقد بين ابن جنى سبب كون العين أقوى من الفاء واللام، بين ذلك بأن عين الكلمة محاطة بفائها ولامها، وأن الفاء واللام «مبذولان للعوارض دونها»، ومعنى «مبذو لا ن». أنهما غيرُ محصنين، ومعنى (العوارض) مايطرأ على فاء الكلمة ولامها، من تغيير، ومن هنا فإن العين حين تضعف فإن التضعيف يكون موافقاً أو دالاً على قوة الحدث، وتكراره .

□ خامساً: مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث :

قال ابن جنى - فى إطار الباب الذى نحن بصدده-: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتْلَئِبٌ عند عارفيه مأموم. وذلك أنهم كثيراً مايجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها... من ذلك قولهم خضم، وقضم. فالخضم لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء وماكان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس: حذوا المسموع الأصوات على محسوس الأحداث .

ومن ذلك قولهم: النضح للماء ونحوه، والنضخ أقوى من النضح؛ قال الله سبحانه: ﴿فيهما عينان نَضَّاخَتَان﴾ فجعلوا الحاء - لرقتها - للماء الضعيف، والخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه» .

□ **تعقيب :**

ما قاله ابن جنى فى الخضم والقضم واضح، وأما ما قاله بصدد (النضح والنضخ) فيمكن إيضاحه بأنه يقال: «(نضحت الثوب نضحاً من باب ضرب ونفع وهو البل بالماء والرش»[1].. ويقال «نضخت الثوب نضخاً من بابى ضرب ونفع إذا بللته أكثر من النضح فهو أبلغ منه»[2].

كما ورد أن النضخ «فوق النضح بالحاء؛ لأن النضح بالحاء الرش والرشح، والنضخ بالخاء» فورانُ الماء يعنى أن الرش أو البلل المترتب على النضح، يكون أكثر من الرش والبلل المترتب على النضح .

ومما يدل على أن (النضح) بالماء أقل من النضخ، أنه يلاحظ فى كثير من استعمالات تركيب (نضح) الدلالة على القلة، ومن ذلك: «نضح البيت ينضحه» رَشَّه، وقيل: رشه رشاً خفيفاً»[3] والنضح «أن يشرب دون الرِيِّ»، والنَضَحات: الشئ اليسير المتفرق من المطر»[4] .

ومما يدل على أن (النضخ) أقوى من النضح ماورد فى استعمالات تركيب (نضخ) من الدلالة على القوة، من ذلك تعريف النضخ بأنه شدة «فَوْرُ الماء فى جَيَشَانه، وانفجاره من يَنْبُوعِهِ» .

□ «ومن ذلك قولهم الوسيلة والوصيلة، والصاد - كما ترى - أقوى صوتاً من السين، لما فيها من الاستعلاء والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة. وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل

---

(١) المصباح المنير (نضح) .

(٢) السابق (نضخ) .

(٣) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى جـ٦/ ٢٤٨ .

(٤)

الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء، ومماسّته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضاً له، كاتصال الأعضاء بالإنسان، وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءاً أو كالجزء من المتوسل إليه. وهذا واضح. فجعلوا الصاد لقوتها، للمعنى الأقوى، والسين لضعفها، للمعنى الأضعف» .

□ «ومن ذلك قولهم: صعد وسَعِدَ. فجعلوا الصاد - لأنها أقوى - لما فيه أثر مُشَاهَد يُرَى، وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك. وجعلوا السين - لضعفها - لما لا يَظْهَرُ ولا يُشَاهَدُ حِسّاً، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد،[1] لا صعود الجسم، ألا تراهم يقولون هو سعيد الجد، وهو عالي الجد، وقد ارتفع أمره، وعلا قدره. فجعلوا الصاد لقوتها، مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المتجشّمة، وجعلوا السين لضعفها، فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية» .

□ تعقيب على ماذكره ابن جني في (الوسيلة) و(الوصيلة):

الصاد حرف مستعل مطبق، والسين حرف مستفل منفتح، والاستعلاء والاطباق صفتان قويتان، والاستفال والانفتاح صفتان ضعيفتان، ومن هنا يتضح قول ابن جني بأن الصاد أقوى صوتاً من السين .

هذا أمر، والأمر الآخر أنه يلاحظ في استعمالات تركيب (وصل) الدلالة على التلاحم وشدة الاتصال، ولا يلاحظ ذلك في استعمالات تركيب (وسل) ومن أمثلة تركيب (وصل) :

---

(١) الجد: النصيب .

- «الأوصال: مجتمع العظام»، والوصيلة «الأرض المكلئة التي تتصل بأخرى ذات كلأ»[1].

وإذا تأملنا في تركيب (وسل) نلاحظ أنه وإن كان فيها دلالة على الصلة، إلا أن درجة الاتصال لاتبلغ مستوى دلالة تركيب (وصل)، ومما يدل على ذلك أنه يقال في تركيب (وسل): «وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل... والوسيلة: الوصلة والقربى»[2].

ومايتوسل به، ويترتب عليه اتصال، وارتباط، ليس بلازم أن يكون هذا على سبيل الاستمرار، والدوام، فقد يحدث شقاق، وخلاف، واتباع أهواء، بين ماحدث بينهما، أو بين ماحدث بينهم تقارب واتصال، وحين يحدث ذلك تكون الفرقة، والتباعد، وانفصام العلاقات، ومن هنا يبدو، ويتضح ماقال به ابن جني بأنهم جعلوا «الصاد لقوتها، للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف».

- سادساً: مراعاة ترتيب أحرف الكلمة لتناسب طبيعة معناها:

بعد أن ذكر ابن جني نماذج من مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، قال:

«نعم، ومن وراء هذا ماللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع. وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم مايضاهي أول الحدث، وتأخير مايضاهي

---

(١) لسان العرب (وصل) ٦/٤٨٥٢ والكلأ: «العشب، رطبه ويابسه». لسان العرب (كلأ).

(٢) لسان العرب (وصل).

آخره، وتوسيط مايضاهى أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب .

وقد ضرب ابن جنى لذلك عدة أمثلة، منها (جر الشىء). وتحدث عن سر تقديم الجيم على الراء، فقال بأنهم «قدموا الجيم لأنها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثم عقبوا ذلك بالراء، وهو حرف مكرر، وكرروها مع ذلك فى نفسها. وذلك لأن الشىء إذا جُرَّ على الأرض فى غالب الأمر اهتز عليها، واضطرب صاعداً عنها، ونازلاً إليها، وتكرر ذلك منه على مافيه من التعتعة والقَلَق. فكانت الراء - لما فيها من التكرير، ولأنها أيضاً قد كررت فى نفسها فى (جر) و(جررت) أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها»[1].

وخلاصة ماتقدم أن الألفاظ التى ذكرها ابن جنى فى باب (إمساس الألفاظ أشباه المعانى)، تمثل مايلى:

أولاً: المصادر الرباعية المضعفة .

ثانياً: ماجاء على وزن (فعلى) .

ثالثاً: الأفعال التى على وزن (استفعل) .

رابعاً: تكرير العين .

خامساً: مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث .

سادساً: مراعاة ترتيب أحرف الكلمة لتناسب طبيعة معناها» .

وبناء على ماسبق فإنه يمكن القول بأن ابن جنى لمس، وشعر بوجود علاقة، ومناسبة بين الألفاظ ومعانيها، ورأى أن المناسبة بين اللفظ والمعنى

---

(١) الخصائص ٢/١٦٤ .

لاتأخـــذ طابعاً واحداً، أو نمطاً واحداً، وقد التـقط ابن جنى فكرة هذا الباب مما روى عن الخليـل، وسيـبـويه، وأضـاف إلى ذلك مـاجـادت به قـريحتـه، وتوصل إليه من خلال تأمله، وبعد نظره في اللغة، ومن هنا يمكننا القول بأن المراد بـ(إمساس الألفاظ أشباه المعانى) : ذكر نماذج، أو أمثلة تمثل أنواع أو أنماط المناسبة بين اللفظ والمعنى، وتحليلهـا تحليـلاً يفـصح عـمـا فـيـهـا من أسرار .

ألفاظ الخصوص

ما المقصود بألفاظ الخصوص؟

المراد بألفاظ الخصوص أن يطلق على بعض المعانى لفظ ما، بحيث لايصلح الإتيان بلفظ غيره ليحل محله، كما يراد بألفاظ الخصوص أن يقتصر استعمال اللفظ على معنى معين، أى لانجد للفظ استعمالا آخر غير هذا المعنى المعين، وتستطيع من خلال ذلك أن نقول بأن ألفاظ الخصوص تنقسم قسمين، يمكن بيانهما فيما يلى:

أولاً: أن نجد للفظ معانى متعددة مع كون بعض هذه المعانى ليس لها لفظ آخر يعبر عنها، ومعنى ذلك أن هذا اللفظ بالنسبة لهذا المعنى صارخا خاصًّا به ويمكن أن نوضح ذلك بكلمة (السبت)، فلها معان كثيرة، فالسبت «الدهر، والسير السريع، والسبق فى العدو، والحلق، والقطع. وتخصص فى الاستعمال بأحد أيام الأسبوع، وليس لهذا اليوم اسم آخر يطلق عليه غير لفظ السبت. ويلاحظ مع هذا أن المعانى الأخرى لكلمة السبت (الدهر، السير السريع، السبق فى العدو، الحلق، القطع) لها ألفاظ أخرى تعبر عنها غير كلمة السبت، ومن هنا يتبين أن كلمة السبت حين تطلق على اليوم المعروف، تعد لفظا خاصا بهذا المسمى.

ثانياً: أن نجد اللفظ من بداية استعماله خاصا، أى لانجد له معنى آخر غير المعنى الذى استعمل فيه، من ذلك ماذكره ابن فارس فى باب الخصائص من قولهم: «مكانك» قال أهل العلم. هى كلمة وضعت على الوعيد، قال الله جل ثناؤه: ﴿مكانكم أنتم وشركاؤكم﴾ كأنه قيل لهم: «انتظروا مكانكم حتى يُفْصَلَ بينكم»[1]

(١) الصاحبى ص٢٠٤.

❑ تناول بعض اللغويين ألفاظ الخصوص بالتصنيف والتعريف:

❑ تناول ابن فارس:

بالبحث فيما خصص من كتب فقه اللغة لألفاظ الخصوص، يتبين أن ابن فارس قد عقد فى كتابه (الصاحبى فى فقه اللغة) بابين لهذا النوع من الألفاظ، وجاء الباب الأول بعنوان: (باب القول فى أصول أسماء قيس عليها وأُلحق بها غيرها)، وقد ذكر ابن فارس فى هذا الباب عدة أمثلة، منها ما ذكره عن الأصمعى من أن أصل الوِرْد: إتيان الماء، ثم صار إتيانُ كلِ شىء وِرْدا» و«القَرَب» طلب الماء، ثم صار يقال ذلك لكل طلب.[1] وأشار ابن فارس فى هذا الباب إلى أن أمثلة هذا النوع من الألفاظ كثيرة.

وأما الباب الآخر الذى ذكره ابن فارس، فعنوانه: «باب الخصائص». وقد استهله ابن فارس بقوله: «للعرب كلام بألفاظ تختص به معانى لايجوز نقلها إلى غيرها، يكون فى الخير، والشر، والحسن، وغيره، وفى الليل، والنهار، وغير ذلك».

وضرب ابن فارس لذلك بعض الأمثلة، منها «اليَعْمَلَة». لإناث الإبل خاصة، وجَزَزْت الشاة، و«حَلَقْت العَنْز»، لايكون الحَلْق فى الضَّأْن[2] ولا الجَزّ فى المِعْزَى.

❑ تعقيب على البابين الذين ذكرهما ابن فارس:

الأمثلة التى ذكرها ابن فارس فى الباب الأول لاتدخل فى باب الألفاظ المخصوصة؛ وذلك لأن الاعتداد بما آل إليه اللفظ فى الاستعمال، فيتبقى لدينا الأمثلة التى ذكرها فى باب «الخصائص». فهذه ينطبق عليها أنها من ألفاظ الخصوص، وما عرضه ابن فارس من أمثلة فى هذا الباب تشير إلى عمق فهمه لدلالة الألفاظ التى أتى بها.

---

(١) الصاحبى ٥٨.

(٢) الضأن: ذو الصوف من الغنم. المعجم الوسيط (ضأن).

ولإيضاح ماذكره ابن فارس من قوله: «وجززت الشاة، وحلقت العنز، ...... المعزى»، نقول بأنه يلاحظ أن صوف الشاة كثيف، متلبد، أى متداخل، وملتص بعضه فى بعض، وكثافة صوف الشاة، وتلبده، يعنى أنه حين يراد أخذه، فإن ذلك يكون سهلا على الآخذ، ولايتم قطعه بيسر؛ وهذا بخلاف شعر المعزى، فإنه مسترسل، وليس متلبدا، ومن هنا فإن أخذه سهل، لايسبب مشقة على آخذه، ومن هنا فإن أخذ صوف الشاة يحتاج إلى لفظ يناسبه، وكذلك أخذ شعر المعزى يحتاج إلى لفظ يوافقه، وبناء على ذلك نستطيع أن نفهم قول ابن فارس «وجززت الشاه .... ولا الجز فى المعزى» أى أن كلمة (الحلق) لا تقال فى أخذ صوف الشاة، وكلمة (الجز) لا تقال فى أخذ شعر المعزى. والسر هنا الذى قاله ابن فارس أن كلمة (جز) أول حرف فيها «الجيم»، والجيم حرف شديد، لأن من صفاته الشدة، والجهر، والاصمات، وهى صفات قوة، ومن هنا تناسب التعبير بـ (جز) عن أخذ صرة الشاة.

وأول حرف فى كلمة (حلق) الحاء، والحاء حرف يتصف بالهمس، والرخاوة، والانفتاح، والاستفال، وهى صفات ضعف، ولذلك جاء التعبير بها عن أخذ صوف المعزي مناسبا.

☐ تناول السيوطى:

خصص السيوطى فى كتابه المزهر أربعة فصول من النوع التاسع والعشرين، لبيان الألفاظ الخاصة، وجاء ذلك متمثلا فى الفصل الثانى، والثالث، والرابع، والخامس، وكانت هذه الفصول على النحو التالى:

☐ الفصل الثانى: فى العام المخصوص، وهو ماوضع فى الأصل عاما، ثم خص فى الاستعمال ببعض أفراده.

ومن أحسن الألفاظ التى مثل بها فى هذا الفصل كلمة «السبت» وقد مر التحدث عنها.

والألفاظ التى تندرج فى هذا الفصل يمكن تمييزها، ومعرفتها بما ذكره السيوطى فى مقدمة الفصل المذكور، فقد ذكر أنه إن «كان هذا التخصيص من اللغة صلح أن يكون مثالا فيه، وإن كان من الشرع لم يصلح؛ لأن الكلام فيما خَصَّصَتْهُ اللغة لا الشرع». ولإيضاح هذا الذى ذكره السيوطى نقول- على سبيل المثال- بأن الصلاة معناها فى اللغة الدعاء، لكنها بعد أن فرضت تخصص معناها بما عُرِفَتْ به فى الشرع، وهو الأقوال والأفعال المفتتحة بالتكبير، المختتمة بالتسليم، وهذا المعنى الشرعى لايدخل الصلاة فى الألفاظ الخاصة، لكن الذى يدخل اللفظ فى باب الخصوص، أن يكون التخصيص فى الاستعمال، ومعنى ذلك أن التخصيص جاء من قبل استعمال أهل اللغة لفظا معينا بمعنى خاص به.

□ الفصل الثالث: فيما وضع فى الأصل خاصا ثم استعمل عاما:

وقد ذكر السيوطى لذلك أمثلة كثيرة منها:

«السماء المعروفة، ثم كثر حتى سمى المطر سماء. وتقول العرب: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم: أى مواقع الغيث.

ويمكن إيضاح هذا المثال بما تذكره كتب اللغة من أنه يقال «كل ماعلاك فأظلك فهو سماء». ومعنى ذلك أن كلمة السماء لم يعد معناها قاصرا على السماء المعروفة، وإنما يمكن أن تطلق على سقف البيت، وسقف السيارة، وما إلى ذلك.

وذكر السيوطى كذلك من أمثلة هذا الفصل قول القالى فى أماليه: «الخارب: سارق الإبل خاصة، ثم يستعار فيقال: لكل من شرق بعيرا كان أوغيره».

□ الفصل الرابع: فيما وضع عاما واستعمل خاصا ثم أفرد لبعض أفراده اسم يخصه.

ومن ذلك أن لفظ «الحديث» أى الكلام، عام، والسمر خاص. ومعنى كون «الحديث» عاما، أن هذا اللفظ يمكن أن يطلق على الكلام الذى يتكلم به فى أى وقت، ومعنى كون «السمر» خاصا، أن الكلام الذى يتكلم به ليلا يقال له «سمر» وبأسلوب آخر يمكن أن نقول بأن كلمة «السمر» لايجوز إطلاقها على الكلام الذى يقال نهارا.

ومن ألفاظ هذا الباب أيضا:

الطلب عام: والتوخى فى الخير خاص. ومما يدل على أن لفظ (التوخى) خاص بالاستعمال فيما هو خير. ماورد من أنه يقال: «وتوخيت مرضاتك، أى تحريت وقصدت.

□ **الفصل الخامس:** فيما وضع خاصا لمعنى خاص:

وقد ذكر السيوطى من ألفاظ هذا الفصل:

□ ظل فلان يفعل كذا: إذا فعله نهارا. وبات يفعل كذا، إذا فعله ليلا.

□ اليعملة: من الإبل اسم مشتق من العمل، ولايقال إلا للإناث.

تعقيب على ماذكره السيوطى:

يجب أن يستبعد من الفصول التى ذكرها السيوطى الفصل الثالث (فيما وضع فى الأصل خاصا ثم استعمل عاما). والسبب فى وجوب استبعاده أنه وإن كان اللفظ فى الأصل خاصا، لكن استعماله تطور، فصار معناه عاما، والذى يجب أن ينظر إليه، ويؤخذ فى الاعتبار ما صار إليه اللفظ فى الاستعمال.

وهذا الباب الذى يجب أن يستبعد هو نظير الباب الذى ذكره ابن فارس بعنوان (باب القول فى أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها). وبناء على ذلك يكون الحاصل لدينا من الفصول التى تمثل الألفاظ الخاصة، ثلاثة فصول، وهى الفصل الثانى، والرابع، والخامس.

ويضاف إلى هذا أن الفصل الرابع فى كتاب (المزهر) يناظره الفصل الذى عقده الثعالبى فى كتابه (فقه اللغة وسر العربية) بعنوان: فصل فى العموم والخصوص[1]. والفصل الخامس فى المزهر يناظره فى كتاب الصاحبى: باب الخصائص.

---

(١) ذكر منها الثعالبى ص٣١١.

- النظر إلى الأشياء عام.

والشيم للبرق خاص. «أى أن النظر إلى البرق يسمى شيما.

- الحبل عام.

والكر: الحبل الذى يصعد به إلى النخل خاص.

- السير عام. والسرى ليلا خاص.

- الخدمة عامة. والسدانة للكعبة خاص.

□ **تعقيب عام على الباب:**

ما عرض من ألفاظ الخصوص يجب أن ينبهنا إلى أن هذه الألفاظ ليست مجرد ألفاظ لها معان معينة، ويقف نظرنا عند هذا الحد. وإنما هي ألفاظ لها من الميزات، والخصائص ماجعلها تنفرد بإطلاقها على معان معينة، بحيث لانجد ألفاظا أخرى تشترك معها في هذه المعاني المعينة. وهذا يشير إلى مدى الدقة البالغة التي اتسم بها أهل اللغة، كما يشير إلى أن العرب كانوا على دراية تامة بخصائص لغتهم،

نظرات في كتاب
فقه اللغة للثعالبي

مقتطفات من مقدمة المؤلف، لبيان سبب تأليفه الكتاب، وذكر منهجه فيه:

يجب أن نتنبه إلى أن الثعالبى قد نوه فى مقدمته لكتابه، بأبى الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى، وذلك لماله من أياد بيضاء على الثعالبى، ومن أثر بالغ فى تأليفه كتاب (فقه اللغة وسر العربية) .

«من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربى أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التى بها نزل أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عنى بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هى أداة العلم، ومفتاح التفقه فى الدين.... ولو لم يكن فى الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر فى جلائها، ودقائقها، إلا قوة اليقين فى معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة فى إثبات النبوة، التى هى عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلاً يحسن فيهما أثره، ويطيب فى الدارين ثمره .... وقد كانت تجرى فى مجلسه - آنسه الله - نكت من أقاويل أئمة الأدب فى أسرار اللغة وجوامعها، ولطائفها وخصائصها، مما لم يتنبهوا لجمع شمله، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده، وإنما اتجهت لهم فى أثناء التأليفات، وتضاعيف التصنيفات، لمع يسيرة كالتوقيعات، وفقر خفيفة كالإشارات، فيلوّح لى - أدام الله - أدام الله دولته - بالبحث عن أمثالها، وتحصيل أخواتها، وتذييل مايتصل بها، وينخرط فى سلكها، وكسر دفتر جامع عليها، وإعطائها من التيقة حقها» .

ثم يشير الثعالبى فى مقدمته إلى أنه ود أن يحيل تأليف الكتاب إلى بعض خاصة أبى الفضل الميكالى، ممن رأى فيه الثعالبى قدرة على خوض هذا المجال، لكن أبا الفضل الميكالى رأى بحسه اللغوى وفراسته، أن الثعالبى أقدر من غيره على تأليف الكتاب المذكور، ويبدو ذلك من قول الميكالى للثعالبى: «إنك إن أخذت فيه أجدت وأحسنت، وليس له إلا أنت» .

وينبه الثعالبى فى المقدمة إلى أن الميكالى رسم معالم الكتاب ووضع لها إطاراً عاماً، يقول الثعالبى مشيراً إلى ذلك: «فأقام لى فى التأليف معالم أقف عندها، وأقفوا حدها، وأهاب بى إلى ما اتخذته قبلة أصلى إليها، وقاعدة أبنى عليها، من التمثيل والتنزيل، والتفصيل والترتيب، والتقسيم والتقريب.

ونبه الثعالبى فى المقدمة إلى أن ما احتواه كتابه مأخوذ عن أئمة اللغة، مثل الخليل، والأصمعى، وأبى عمرو الشيبانى، والكسائى، والفراء، وأبى زيد، وأبى عبيدة، وأبى عبيد، وابن الأعرابى، والنضر بن شميل، وأبوى العباس (أى المبرد وثعلب)، وابن دريد، ونفطويه، وابن خالويه، والخارزنجى، والأزهرى، ومن سواهم من ظرفاء الأدباء، الذين جمعوا فصاحة البلغاء، إلى إتقان العلماء، ووعورة اللغة إلى سهولة البلاغة، كالصاحب أبى القاسم، وحمزة بن الحسن الأصبهانى، وأبى الفتح المراغى، وأبى بكر الخوارزمى، والقاضى أبى الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى، وأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى» .

ويقول الثعالبى عقب ذلك :

«وأجتبى من أنوارهم، وأجتنى من ثمارهم، وأقتفى آثار قوم قد أقفرت منهم البقاع، وأجمع فى التأليف بين أبكار الأبواب، والأوضاع، وعون اللغات والألفاظ .

تعقيب على ما اقتبس من مقدمة الثعالبى :

أولاً: الدافع إلى تأليفه الكتاب :

يبدو مما استهل به الثعالبى مقدمة الكتاب أنه كان شغوفاً باللغة، جاداً فى تحصيلها، موجهاً عنايته إلى التفقه فيها، وقد كان ذلك أحد الأسباب التى جعلته يتوجه إلى تأليف الكتاب، مع ملاحظة أن الثعالبى كان متفطناً إلى أن التفقه فى اللغة هو المفتاح والطريق لفهم القرآن الكريم، ومعرفة وجوه الإعجاز فيه .

والدافع الثانى يتمثل فيما صرح به الثعالبى من أنه كانت تجرى فى مجلس أبى الفضل الميكالى نكت من أقاويل أئمة الأدب فى أسرار اللغة وجوامعها، ولطائفها، وخصائصها، مما لم يتنبهوا لجمع شمله... إلى قوله وإعطائها من النيقة حقها، وهذا الذى صرح به الثعالبى يعنى أنه كان يحدث فى مجلس أبى الفضل الميكالى أن يطرح أو يثار من الأمثلة يكشف عن سر من أسرار اللغة العربية، ولكن هذه الأمثلة التى كانت تطرح تعد فى حاجة شديدة إلى أن يضم إليها نظائرها، حتى تكتمل الفائدة منها .

ويبدو أيضاً أنه لما رغب أن يسند تأليف الكتاب لأحد الخاصة الذين اصطفاهم الميكالى لمجلسه، لما رغب الثعالبى فى ذلك، وجد من الميكالى إصراراً على أن يكون الثعالبى هو القائم بهذا العمل، وأنه لاليس هناك أحد غيره يستطيع النهوض به .

وكأن الثعالبى قد أحس فى نفسه تميزاً عن أقرانه، فحفزه ذلك إلى تأليف الكتاب، ويشير إلى هذا قوله «... وأقتفى آثار قوم قد أقفرت منهم البقاع» .

ثانياً ميزة الكتاب :

لقد صرح الثعالبي في مقدمته لكتابه بأنه سيجمع في تأليفه «بين أبكار الأبواب والأوضاع، وعون اللغات والألفاظ». والمراد بأبكار الأبواب أن الثعالبي ذكر في كتابه أبواباً لم يسبق إليها بمعنى أن كتابه اشتمل على أبواب لم ترد فيما ألف قبله من كتب اللغة، وأما المقصود بأبكاراً الأوضاع فيمكن توضيحه - مثلاً - مما ذكره الثعالبي من أن الأشياء تختلف أسماؤها باختلاف أوصافها وأحوالها، ومن ذلك ماذكره من أنه لايقال: كأس إلا إذا كان فيها شراب، وإلا فهي زجاجة، ولايقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام، وإلا فهي خوان، ولايقال: كوز إلا إذا كانت له عروة وإلا فهو كوب، ولايقال قلم إلا إذا كان مبرياً، وإلا فهو أنبوبة... وهكذا .

وأما قول الثعالبي (وعون اللغات والألفاظ) فنستطيع أن نوضحه بأن الثعالبي لم ينفرد بذكر الألفاظ التي اشتمل عليها كتابه، وإنما ذكرها غيره ممن سبقوه إلى التأليف في اللغة، لكنه تناول هذه الألفاظ بالذكر تناولاً يختلف عمن سبقوه، وهذا التناول المختلف يتمثل في تصنيفه الألفاظ تصنيفاً يدل على فقه اللغة، وغوصه في أسرارها، وجمع النظير إلى نظيره .

المنهج الذي اتبعه الثعالبي في كتابه فقه اللغة :

لقد وردت إشارتان في المقدمة التي صدر بها الثعالبي كتابه، وذلك فيما يتعلق بالمنهج العام الذي بني عليه الكتاب؛ أولاهما تتمثل في أن الميكالي وجه الثعالبي إلى تأليف كتاب يتسم بجمع الألفاظ بحسب معانيها، بمعنى أن كل طائفة من الألفاظ تتقارب معانيها، أو تتسم بسمة واحدة.(١)

---

(١) يمكن التمثيل للألفاظ التي تتسم بسمة واحدة - مثلاً - بما ورد في الكتاب من الألفاظ التي جاء في تعريفها لفظ كل. ككل ماعلاك فأظلك فهو سماء، وكل أرض مستوية فهي صعيد .

تجعل فى موضع واحد، والإشارة الأخرى تظهر فى قول الثعالبى بأن الميكالى رسم للكتاب قاعدة يبنى عليها من «التفصيل والترتيب، والتقسيم والتقريب» .

وقد أخذ الثعالبى المنهج العام للكتاب من الإشارة الأولى، بمعنى أنه استفاد منها ضوابط تحديد معالم الكتاب، فباب يخصص للألفاظ الدالة على الشدة والشديد من الأشياء، وباب يخصص للألفاظ الدالة على القلة والكثرة، وثالث للألفاظ الدالة على أحوال وأفعال الإنسان وغيره من الحيوان... وهكذا، وقد بلغت عدد أبواب الكتاب ثلاثين باباً، ضمت فصولاً تقارب ستمائة فصل.

وأما المنهج التفصيلى للكتاب فقد استفاده الثعالبى من الإشارة الأخرى التى تظهر فيما سبق ذكره من أن الميكالى رسم للكتاب قاعدة يبنى عليها من التفصيل والترتيب والتقسيم، وسنذكر فيما يلى نماذج من بعض أبواب الكتاب، مع إتباع ذلك بتعقيب يوضح مايذكر من أمثلة .

نماذج من الأبواب التى ضمها الكتاب :

- الباب الأول : فى الكليات .
- الباب الثانى : فى التنزيل والتمثيل .
- الباب الثالث : فى الأشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها.
- الباب الرابع : فى أوائل الأشياء وأواخرها .
- الباب الخامس : فى صغار الأشياء وكبارها وضخامها .
- الباب السادس : فى الطول والقصر .
- الباب السابع : فى اليبس واللين .

نماذج من الألفاظ التي احتواها الباب الثاني:

احتوى هذا الباب على خمسة فصول :

الفصل الأول منها بعنوان :

- فصل في طبقات الناس وذكر سائر الحيوانات وأحوالها ومايتصل بها:
ومن أمثلته:-
- الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل عليهما السلام.
- أرداف الملوك في الجاهلية بمنزلة الوزراء في الإسلام والردافة كالوزارة.
قال لبيد :

وشهدت أنجية الأفاقة عاليا   كعبي وأرداف الملوك شهود

- الأقيال لحمير: كالبطاريق للروم .
- المراهق من الغلمان: بمنزلة المعصر من الجواري .
- والكاعب منهن بمنزلة الحزور .
- الكهل من الرجال بمنزلة النَّصَف من النساء .
- القارح من الخيل، بمنزلة البازل من الإبل .
- الطرف من الخيل بمنزلة الكريم من الرجال .
- البذج من أولاد الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز .
- الشادن من الظباء كالناهض من الفراخ .
- العجير من الخيل كالسريس من الإبل، والعنين من الرجال .
- رُبوض الغنم مثل بُروك الإبل، وجُثوم الطير، وجلوس الإنسان .
- خِلْف الناقة بمنزلة ضَرْع البقرة، وثدي المرأة .
- البرائن من الكلب: بمنزلة الأصابع من الإنسان .
- الكرش من الدابة: كالمعدة من الإنسان .

تعقيب على قول الثعالبي (الطرف من الخيل بمنزلة الكريم من الرجال).

لكى نفقه دلالة الطرف على الخيل فإنه يجب أن نوضح أولاً المراد بالكريم من الرجال، ولكى نوضح المراد بالكريم من الرجال، فإنه يمكن أن نستعين على ذلك بما ورد فى معجم لسان العرب[1] من أنه يقال: «الكرم نقيض اللؤم يكون فى الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء، ويستعمل فى الخيل والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذا عنوا العتق، وأصله فى الناس .

كما ورد فى اللسان كذلك أن الكريم: اسم «جامع لكل مايحمد» .

وجاء فى اللسان من أن الكرم يكون فى الرجل بنفسه وإن لم يكن له آباء، فيمكن توضيحه بأن الرجل إذا كان ذا صفات حميدة، وأفعال مرضية، فهو كريم[2] وإن لم يكن آباؤه كذلك .

ومن هذا التفسير لكلمة (كريم) يتحتم أن يكون هذا المعنى متحققاً فى الطرف من الخيل، وبالبحث نلاحظ أنه قد ورد فى لسان العرب[3] (والطرف، بالكسر، من الخيل: الكريم العتيق، وقيل: هو الطويل القوائم والعنق المطرف الأذنين» .

وهذه الصفات من محاسن الخيل،[4] ومعنى ذلك أن معنى الكريم متحقق فى الطرف من الخيل.

---

(١) «كرم» جـ٥/ ٣٨٦١ .

(٢) معنى ذلك أن لفظ كريم دلالته أوسع مما قد يتبادر إلى الذهن من أن معنى الكريم محصور فى إطلاقه على الشخص الذى يعم خيره غيره .

(٣) «طرف» ٤/٢٦٥٧ .

(٤) ومما يدل على ذلك ماذكره الألوسى فى كتابه بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب جـ٢/ ٨٤، فقد ذكر ماروى من أن الحجاج بن يوسف الثقفى سأل ابن القرية عن صفات الجواد فقال: نعم أصلح الله الأمير: الطويل الثلاث، القصير الثلاث، الرحب الثلاث، الصافى الثلاث، فقال: صفهن وبين لفظك، فقال: أما الطويل الثلاث فالأذن والعنق والذراع وأما القصير .....

وبناء على ماسبق فإنه يفهم من قول الثعالبى (الطرف من الخيل بمنزلة الكريم من الرجال) يفهم منه أن المعنى المشترك بين الرجال والخيل، وهو الاتصاف بالمحاسن، هذا المعنى أصلى فى الرجال، وفرعى فى الخيل، وقد ورد فى بعض مصادر اللغة مايدل على ذلك صراحة، ففى لسان العرب[1]: «الكرم: نقيض اللؤم يكون فى الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء، ويستعمل فى الخيل، والإبل والشجر وغيرها من الجواهر إذا عنوا العتق، وأصله فى الناس» .

ويلاحظ مع هذا أن يقال: «والطِّرْف والطَّرْف: الخِرْق الكريم من الفتيان والرجال» ويتضح هذا القول ببيان معنى الخرق، وقد جاء فى لسان العرب (خرق): «والخرق من الفتيان: الظريف فى سماحة ونجدة. وتَخَرَّق فى الكرم: اتسع، والخرق بالكسر: الكريم المتخرق فى الكرم، وقيل: هو الفتى الكريم الخليقة». ويقال أيضاً رجل خِرْق: سخى.[2] وخلاصة ذلك أن المقصود بالطرف الرجل الذى يتسم بمكارم الأخلاق، أى أنه فى عالم البشر نجد أن الشخص الذى يتصف بالشيم الحسنة يطلق عليه (طرف) .

أمثلة من الفصول التى ورد فى عنوانها كلمة (تفصيل):

فصل فى تفصيل الصغار :

- الحصى : صغار الحجارة .
- الفسيل : صغار الشجر .
- الأشاء : صغار النخل .

---

(١) «كرم» ٥/٣٨٦١ .

(٢) انظر لسان العرب (خرق) ٢/١١٤٢ .

- الفـــرش : صغار الإبل. وقد نطق به القرآن .
- النَقَـــد : صغار الغنم .
- البَهْـــم : صغار أولاد الضأن والمعز .
- الحشرات : صغار دواب الأرض .
- الغوغاء : صغار الجراد .
- الـــذَّر : صغار النمل .
- اللمـــم : صغار الذنوب .

تعقيب: يبدو من الأمثلة المذكورة أنه تضمها صفة واحدة وهى صفة الصغر، لكن الصغر متنوع، فهذا فى الحجارة، وذاك فى الشجر، وثالث فى النخل وهكذا، وكل صغير من صنفه له اسم يميزه عن الصغير من الأصناف الأخرى .

أمثلة من الفصول التى ورد فى عنوانها كلمة (تقسيم) :

- فصل فى تقسيم السعة على مايوصف بها .
- أرض واسعة .
- بيت فَسِيح .
- طريق مَهْيَع .
- عين نَجلاء .
- صدر رَحِيب .
- قميص فَضْفاض .

تعقيب: يســـتنبط من هذه الأمـــثلة (أرض، بيت، طريق...) أنهـــا موصوفة، والألفاظ التى وصف بها، تختلف فى تراكيبها، لكنها تتفق فى الدلالة على الاتساع، ولعل الثعالبى قصد شهرة استعمال الصفات المذكور على

هذا النمط، بمعنى شهرة وصف البيت بأنه فسيح، أى أنه مع ذلك قد تأتى كلمة (فسيح) وصفاً لغير البيت، ومما يدل على صحة ذلك أنه ورد فى اللسان «وبيت فسيح: واسع»[١].

وفى اللسان أيضاً: «وبلد مهيع: واسع»[٢].

أمثلة من الفصول التى ورد فى عنوانها كلمة (ترتيب) :

فصل فى ترتيب الشجاعة :

- رجل شجاع - ثم بطل ثم صِمّة ثم بُهْمَة .

تعقيب: المقصود بكلمة (ترتيب) بالنسبة لهذا الفصل، أن من يتصفون بالشجاعة ليسوا على مستوى واحد، فتجد منهم من هو أشد بأساً من الآخر، ومن هنا نلاحظ أن لكل مستوى لفظاً يدل عليه، مع تفاوت هذه الألفاظ فى الدلالة على الشجاعة، فكل لفظ يأتى متأخراً يدل على من هو أكثر قوة وبسالة وهكذا .

تعقيب على القسم الثانى:

سر العربية

احتوي هذا القسم على تسعة وتسعين فصلاً، يعد أكثر متصلاً بعلم البلاغة، ويلى ذلك الفصول التى تتعلق بالنحو والصرف، وهى متقاربة فى عددها، وأما باقى الفصول فهى تدور فى فلك فقه اللغة، وهى فصول تمثل تعليل التسمية، والمشترك، وألفاظ الخصوص، والاشتقاق، ويلاحظ مع ذلك أن الألفاظ التى تمثل هذه المباحث (تعليل التسمية....) ألفاظ قليلة .

---

(١) «فسح» جـ٥/ ٣٤١١ .

(٢) «هيع» ٤٧٣٧/٦ .

دليل الكتاب